من التراث العربي

شاعرات من الأندلس

- 2 -

د. محمد الشريف قاهر
جامعة الجزائر

1 ـ الجارية العجفاء: [1]

من النساء الداخلات إلى الأندلس، الجارية العجفاء. كانت نحيلة ضعيفة، دميمة الخلقة، غير أنها خفيفة الروح، مرهفة الإحساس، تقول الشعر. وتجيد الغناء، ملكت النفوس بصوتها ورقة شعرها، مالكها هو مسلم بن يحيى مولى بني زهرة فقير. لايملك من الدنيا إلا بيتا صغيرا، وإن شئت قلتَ : كوخا حقيرا، يعيش فيه مع جاريته العجفاء. لنستمع إلى ما ينقله المقري في نفحه عن الأرقمي غرير بن طلحة عنها.

قال الأرقمي: قال لي أبو السائب ـ وكان من أهل الفضل والنسك ـ هل لك في أحسن الناس غناء؟ فجئنا إلى دار مسلم بن يحي مولى بني زهرة، فأذن لنا فدخلنا بيتا عرضه اثنا عشر ذراعا في مثلها، وطوله في السماء ستة عشرة ذراعا ، وفي البيت نمرقتان قد ذهب عنهما اللحمة، وبقي السدى، وقد حشيتا بالليف، وكرسيان قد تفككا من قدمهما، ثم اطلعت علينا عجفاء كلفاء عليها هروي أصفر غسيل...فقلت لأبي السائب: بأبي أنت! ما هذه؟ فقال اسكت، فتناولت عودا فغنت:

بيد الذي شغف الفؤاد بكم تفريج ما ألقى من الهم [2]

هَمٌّ من أجلك ليس يكشفه إلا مليك جائز الحكم

فاستيقني أني كلفت بكم ثم افعلي ماشئت عن علم [3]

قد كان صرم في الممات لنا فعجلت قبل الموت بالصّرم [4]

قال: فتحسّنتْ في عيني، وبدا ما أذهب الكلف عنها، وزحف أبو السائب وزحفت معه، ثم غنت:

برح الخفاء فأيما بك تكتم ولسوف يظهر ما تُسرُّ فيعلم

مما تضمن من غريرة قلبه يا قلب إنك بالحسان لمغرم

يا ليت أنك يا حسام بأرضنا تلقي المراسي طائعا وتخيم

فتذوق لذة عيشنا ونعيمه ونكون إخوانا فماذا تنقم

فقال أبو السائب: إن نقم هذا فأعضه اللّه تعالى....، فزحفت مع أبي السائب حتى فارقنا النمرقتين، وربت العجفاء في عيني كما يربو السويق بماء مزنة، ثم غنت:

يا طول ليلي أعالج السقما إذا حل كل الأحبة الحرما

ما كنت أخشى فراقكم أبدا فاليوم أمسى فراقكم عزما

وقال أبو السائب للعجفاء: لقد هجت لي داء قديما، وكنا نختلف إليها، حتى اشتراها الأمير عبد الرحمن الداخل، وحملت إليه.

2 ـ حسانة التميمية [5]

حسانة بنت أبي المخشي عاصم بن زيد، أحد قدامى الشعراء بالأندلس، تنتمي إلى قبيلة تميم العربية المعروفة، ولدت في أواخر المائة

الثانية، تعلمت الأدب والشعر على والدها الذي كان شاعرا، فقد مدح الأمير الأموي الحكم بن هشام بن عبد الرحمن (180 - 206) فنال إعجابه، وأجازه، حتى إذا توفي والدها وهي لا تزال بكرا، لم تتزوج بعد، نراها تتجه إلى ممدوح أبيها الحكم، وتمدحه بشعر جزل متين، فيقع شعرها من الأمير موقعا حسنا، ورغم ما كان معروفا من القسوة والغلظة، ولكنه كان يطرب للشعر، ويخضع لسلطان الهوى والفن، إذ كان هو بدوره شاعرا. والقصيدة التي تأثر بها الحكم وأجازها عليها لم يبق منها إلا بعض أبيات هي :

إني إليك أبا العاصي موجعة ... أبا المخشي سقته الواكفَ الدّيمُ

قد كنتُ أرتعُ في نُعماه عاكفةً ... فاليوم آوي إلى نعماك يا حكَم

أنت الإمام الذي انقاد الأنام له ... وملّكته مقاليد النهيُ الأُمم

لا شيء أخشى إذا ما كنت لي كنفا ... آوي إليه ولا يعرونني العَدَم

لا زلت بالعزة القعساء مرتديا ... حتى تذل إليك العَربُ والعَجَم

فهذه المقطوعة كما نرى واضحة المعنى، منسقة الألفاظ، قوية الجرس الموسيقي، متسمة بعمق الشكوى التي تمس شغاف القلوب، فقد استطاعت أن تغزو قلب الحكم القاسي، وتلينه لها، وتفتح أذنيه إلى شكواها، وقد ضربت له على الوتر الحساس، فالأمويون بالأندلس كانوا يحنون دائما إلى مجدهم الآفل بالمشرق، ويحلمون بالعودة إلى عاصمة خلافتهم ـ دمشق ـ فاقرأ إن شئت للمرة الثانية البيتين الثالث والأخير:

أنت الإمام الذي انقاد الأنام له ... وملّكته مقاليد النهي الأمم

لا زلت بالعزة القعساء مرتديا ... حتى تذل إليك العرب والعجم

ونرى أبا العاصي يستحسن الشعر، ويعجب به، فيأمر لها بإجراء مرتب منظم، ويكتب إلى عامله بإقليم البيرة ـ غرناطة ـ حاليا، يأمره بالإحسان إليها، والاهتمام بأمرها، والرعاية لمصالحها. فتعود الشاعرة حسانة إلى مسقط رأسها البيرة، وقد نالت مرادها، وحملت معها هدايا ثمينة وعطاء عظيما، وتقديرا وشرفا.

حتى إذا مات الحكم، وتولى الحكم بعده ابنُه عبدُ الرحمن الأوسط (206 - 238) نرى حسانة تشد الرحال إلى قرطبة من جديد، وتلتجىء إلى الأمير الجديد، وتستغيث به مما نالها من جور والي «البيرة» جابر بن لبيد، الذي أوقف لها ذلك المرتب، التي كانت تأخذه في عهد الحكم، فقد استطاعت الشاعرة أن تصل إلى قلب عبد الرحمن بن الحكم بسهولة، وتؤثر فيه، فتمدحه بقصيدة فاهتز لشعرها، واستمع لندائها، وشكواها، فغضب على الوالي، وعزله عن الولاية، وأكرم الشاعرة أيما إكرام. وأقر لها جميع ما كانت تتمتع به في حياة والده الراحل.

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي ... على شحَطٍ [6] تصْلى بنار الهواجر

ليجبر صدْعي إنه خيرُ جابرٍ ... ويمنعني من ذي الظلامة جابر

فرني وأيتامي بقبضة كفه ... كذي ريش أضحى في مخالب كاسر

جديرٌ لمثلي أن يقال مَرُوعَةٌ ... لموت أبي العاصي الذي كان ناصري

سقاه الحيا لو كان حياً لما اعتدى ... عليَّ رمانٌ باطشٌ بطشَ قادر

أيمحو الذي خطتهُ يمناه جابرٌ ... لقد سام بالأملاك إحدى الكبائر

ولما أكملت الشاعرة إنشاد قصيدتها، رفعت إلى الأمير خطّ والده وحكت له جميع ما أصابها، بعد ثكلها، وأنها وأيتامها في حالة ضيق

وعسر شديدين، فرقّ لها الأمير، وأخذ منها خط أبيه، فَقَبّل الصّكّ، ووضعه على عينيه، وقال: «تعدى ابن لبيد طوره، حين رام نقض رأي الحكم، وحسبنا أن نسلك سبيله بعده، ونحفظ بعد موته عهده، انصرفي يا حسّانة، فقد عزلته لك، ووقّع لها بمثل توقيع أبيه، فقبّلت يده، وأمر لها بجائزة، فانصرفت تجُرُّ معها الهدايا، وتغمرها البشرى، فلما وصلت إلى بلدها «البيرة» بعثت إلى الأمير بقصيدة فيها الشكر والمدح والثناء جاء فيها :

ابن الهشاميـن خيرُ النـاس مأثـرةً ... وخيـر منتجـع يـومـا لرُوّاد

إن هزّ يـوم الوغـى أثناء صعدتـه ... روَّى أنابيها من صرف فِرصاد [7]

قل للإمام أيا خيرَ الـورى نسبـا ... مـقـابـلا بين آبـاء وأجـداد

جوَّدت [8] طبعي ولم ترض الظُلامة لي ... فـهـاك فـضل ثناء رائح غـاد

فإن أقمتُ ففي نُعمـاك عـاطـفـة ... وإن رحلتُ فـقـد زوّدتني زادي

وإذا خطونا خطوة أخرى نحو القرن الثالث الهجري وجدنا أول من يعترض طريقنا هي الشاعرة

3 ـ قمر الإشبيلية: [9]

من الجواري والقنيات الوافدات من المشرق العربي، من الحجاز مكة والمدينة، والعراق، بغداد والبصرة والكوفة: فضل وعلم وقلم وقمر، وهذه الأخيرة سيدها هو إبراهيم بن حجاج اللخمي صاحب إشبيلية (ت: 288 هـ)، جلبت إليه من بغداد. عاصمة الخلافة العباسية. وصفها المقري في نفخه بقوله:

«وكانت من أهل الفصاحة والبيان، والمعرفة بصوغ الألحان...جمعت

أدبا وطرفا، رواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رائع، وكانت تقول الشعر بفضل أدبها» وكان الشعر يجري على لسانها سجية وطبعا بلا تكلف ولا تصنع.

قالت تمدح سيدها إبراهيم بن حجاج حاكم إشبيلية في القرن الثالث الهجري:

ما في المغارب من كريم يرتجى إلا حليف الجود ابراهيم

إني حللت لديه منزل نعمة كل المنازل ما عداه سقيم

ورغم ماتالت قمر الإشبيلية من الراحة واللذة والنعيم، وما لقيت من مالكها من عناية وحب وتكريم. فإننا نجدها تحن إلى بلاد الرافدين، دجلة والفرات، وإلى عاصمة الخلافة العباسية بغداد.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم من منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه دائما لأول منزل

فقالت قمر، وهي تتذكر بغداد ونهر الفرات، وبلاد العراق وزميلاتها الأدبيات الشاعرات العفيفات الساحرات، عبرت عن كل ذلك بشعر رقيق أخاذ، ينساب رقراقا انسياب النسيم على صفحات نهر الفرات في البكور والأصال:

آهاً على بغدادها وعراقها وظبائها والسحر في أحداقها

ومجالها عند الفرات بأوجه تبدو أهلتها على أطواقها

متبخترات في النعيم كأنما خُلقُ الهوى العذري من أخلاقها

نفسي الفداء لها بأي محاسن في الدهر تشرق من سنا إشراقها

4 ـ مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري: [10]

هذه الشاعرة عاشت في مدينة إشبيلية الفاتنة، المدينة المعروفة بالخلاعة والمجون، ولكنها لم تؤثر في أخلاقها، فقد عاشت مريم متدينة عفيفة، ذات أخلاق فاضلة، وسيرة حسنة ممتازة. وتعرف بمريم بنت أبي يعقوب الفيصولي الشلبي، الحاجة.

ولعل السبب في ذلك أنها غريبة عن إشبيلية، إذ أصلها يعود إلى مدينة «شلب» في غرب الأندلس، وإنما سكنت بإشبيلية بعد أن تكوّنت وتثقّفت في بلدها، المعروف بالوقار، والحشمة. والذكاء والفطنة .

وكانت مريم معلمة، وأستاذة البنات، على عادة أهل الأندلس في تكليف النساء بتعليم بناتهم، وتتفق الروايات على أنها عالمة، وأديبة، وشاعرة، ومعلّمة ناجحة، وأن لها مدائح في الأمير الأموي عبيد اللّه بن محمد المهدي، والذي كان معجبا بها وبعلمها، وشعرها. وأخلاقها، فكان يُجيزها من ماله، ويساجلها بشعره، الذي نلمس فيه الاحترام والإعجاب بها، فقد بعث إليها يوما بهدية، ودنانير وشعر يقول فيه:

مالي بشكر الذي أوليت من قِبَلِ ... لو أنني حزت نطق اللُّسْنِ في الحُلَل

يافذّة [11] الظرف في هذا الزمن ويا ... وحيدة العصر في الأخلاق والعمل

أشبهت مريمًا العذراء في ورع ... وفُقتِ خنساء في الأشعار والمثل

فأجابته مريم بقصيدة من نفس البحر والقافية، تمدحه وتشكره، وتعتز بهديته، وتفخر بها على بنات جنسها، كعادة النساء في كل زمان ومكان:

من ذا يجاريك في قول وفي عمل ... وقد دبرت إلى فضل ولم تُسَل

مالي بشكر الذي نظّمت في عنقي — مـن الآلى ومـا أولـيـتَ مِـن قِبَلـي
حليّتني بـحـلًى أصبـحـت زاهـيـةً — بها عـلـى كـل أنثى من حُلًى عُطَلَ
للّه أخلاقـك الغـرُّ التـي سُقيتْ — مـاءَ الفرات فَرَقَّـت رقـةَ الغَـزَل
أشبهت مروانَ مـن غــارت بدائعهُ — وأنجدتْ وغَدَتْ من أحسن المثل (12)
من كان والـدُه العضـب المهنّدَ لـم — يلد من النّسل غير البيضِ والأسَل

ويروي الحميدي في جذوته، والضبي في بغيته أنّ أصبغ بن سيّد الإشبيلي ذكر أن الذي بعث إلى مريم بالهدية والشعر إنما هو ابن المهند الشاعر المشهور، والذي أبوه طاهر بن محمد المعروف بالمهند البغدادي، وكان أديبا وشاعرا متقدما، من شعراء الدولة العامرية، ولعل ما يؤيد هذا البيت الأخير من مقطوعتها التي تشير إلى اسم والد الشاعر: من كان والده العضب المهند.

وقد عمّرت مريم عمرا طويلا، إذ عاشت أكثر من سبع وسبعين سنة، ولذلك نراها تشكو من الكبر وهمومه، ومن الزمان وأتعابه، فتقول:

وما يرتجى مـن بـنـت سبعين حجة — وسـبـع كنسيج العنكبـوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى إلى العصا — وتمشي بهـامشـي الأسـيـر المكبـل

الغسانية البجانية: (13)

هذه الشاعرة تنسب إلى مدينة بجانة، وهي كورة عظيمة تابعة لإقليم المرية، وقد عاشت الغسانية في عصر ملوك الطوائف، المشهور بالازدهار العلمي والأدبي، بقدر ما هو معروف بالانهيار الأخلاقي والتفكك

السياسي، والصراع بين الحكام والقادة على السلطة والنفوذ، على حساب الصالح العام للأمة والشعب، فقد أصبحت الأندلس ممزقة الأوصال، مقسّمة إلى دويلات، وإمارات، في كل مقاطعة أمير، وعلى كل ولاية حاكم مستبد، كل يدّعي لنفسه الملك والسلطة.

وقد عبّر الوزير الشاعر ابن عمار بصدق، عن الحالة التي تحياها الأندلس العليلة عندما قال:

مما يُزهّدني في أرض أندلس ... أسماء معتضد فيها ومعتمد

ألقابُ مملكة في غير موضعها ... كالهرّ يحكي انتفاخا صولة الأسد

والذي وصل إلينا من شعر البجانية، قليل جدا، وهو يتّسم بالأصالة والعمق، وينبئ بأنها متمكنة من اللغة، وأساليبها، فهذه الأبيات المقتطفة من قصيدة طويلة حسبما يقول الرواة، مدحت بها حاكم المرية، خيران العامري، أحد ملوك الطوائف، وقد عارضت بها الشاعر الفحل أبا عمر أحمد بن درّاج (347 ـ 421) المعروف، في قصيدته التي مدح بها صاحب نعمته، خيران العامري، والتي مطلعها:

لك الخير قد أوفى بعهدك خيران ... وبُشراك قد آواك عِزٌّ وسُلطان

فقالت الغسانية في الموضوع والوزن والقافية:

أتجزع أن قالوا سترحل [14] أظغان ... وكيف تطيق الصبر ويحك إن بانوا

وما هو إلا الموت عند رحيلهم ... وإلا فعيش تجتنى منه أحزان [15]

عهدتهم والعيش في ظل وصلهم ... أنيق، وروض الدهر أزهر ريّان [16]

ليالي سعد لا يخاف على الهوى ... عتابٌ ولايخشى على الوصل هجران

ويسطو بنا لهو فنعتنق المُنى كما اعتنقت في سطوة الريح أفنان

ألا ليت [17] شعري والفراق يكون هل تكونون لي بعد الفراق كما كانوا

صفية بنت عبد الله الريي: [18]

عاشت هذه الأديبة اللطيفة في أواخر المائة الرابعة وأوائل المائة الخامسة من الهجرة النبوية، وكانت شاعرة رقيقة العواطف، جميلة الخط، حسنة المنظر والمخبر، لم تنعم بشبابها كاملا، ولم تتمتع بطول العمر، فقد احتطفتها المنية وهي في ريعان شبابها ودون الثلاثين من عمرها، وكانت وفاتها في آخر سنة سبع عشرة وأربعمائة.

ذكر أبو عبد اللّه بن سعيد بن جريح، أن امرأة من بنات جنسها، عابت خطها، واستنقصت من جماله، ووضوحه، فقالت صفية الشاعرة:

وعائبة خطّي فقلت لها أقصري فسوف أريك الدر في نظم أسطري

وناديتُ كفّي كي تجود بخطها وقرّبت أقلامي ورقّي ومحبري

فخطّت بأبيات ثلاث نظمتُها ليبدو لها خطّي وقلتُ لها انظُري

أرأيتهم هذه الخلاعة؟ وهذا الفحش البذيء؟ فإذا جاز للرجل أن يقول هذا الكلام فلا يحسن بالمرأة التي رأس مالها الاحتشام، ونصف جمالها الحياء والخجل، أن يفوه به لسانها أو يخطها يمينها.

ومن شعرها القليل الذي وصل إلينا:

لئن حمى [19] عن ثغرها كل حائم فمازال يحمى عن مطالبه الثغر

فذلك تحميه القواضب والقنا وهذا حماه من لواحظها السّحر

أنس القلوب القرطبية: [20]

جارية المنصور ابن أبي عامر محمد بن عبد اللّه المعافري أمير الأندلس في دولة المؤيد الأموي (ت: 392 هـ ـ 1002م) كانت من رقة الشعر وحذق الغناء في مكان رفيع، ولعل الخبر الآتي يعطينا صورة كاملة على مكانتها في الغناء، وحسن التخلص، وطرق الاعتذار، وسرعة البديهة واستعمال أسلوب التأثير والإثارة والتذكير.

حدّث الوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم قال: نادمت يوما المنصور ابن أبي عامر في منية السرور بالزاهرة ذات الحسن النضير، وهي جامعة بين روضة وغدير، فلما تضمخ النهار بزعفران العشيي، ورفرف غراب الليل الدجوجي، وأسبل الليل جنحه، وتقلد السماك رمحه، وهم النسر بالطيران، وعام في الأفق زورق الزبرقان [21]، أو قدنا مصابيح الراح، واشتملنا ملاء الارتياح وللدجن فوقنا رواق مضروب. فغنتنا عند ذلك جارية تسمى «أنس القلوب» وقالت:

قدم الليل عند سير النهار ... وبدا البدر مثل نصف السوار

فكأن النهار صفحة خد ... وكأن الظلام خد عذار

وكأن الكؤوس جامدة ماء ... وكأن المدام ذائب نار

نظري قد جنى علي ذنوبا ... كيف مما جنته عيني اعتذاري؟

يا لقومي تعجبوا من غزال ... جائر في محبتي وهو جاري

ليت لو كان لي إليه سبيل ... فأقضي من الهوى أوطازي

قال الوزير أبو المغيرة: فلما أكملت الغناء، أحسست بالمعنى فقلت:

كيف كيف الوصول إلى الأقمار بين سمر القنا وبيض الشفار
لو علمنا بأن حبك حق لطلبنا الحياة منك بثار
وإذا ما الكرام هموا بشيء خاطروا بالنفوس في الأخطار

قال: فعند ذلك بادر المنصور لحسامه وغلظ في كلامه، وقال لها: إلى ما تشيرين بهذا الشوق والحنين؟ ، فقالت الجارية ـ أنس القلوب ـ: إن كان الكذب أنجى، فالصدق أحرى وأولى ، واللّه ما كانت إلا نظرة ولدت في القلب فكرة، فتكلم الحب على لساني، وبرح الشوق بكتماني، والعفو مضمون لديك عند المقدرة، والصفح معلوم منك عند المعذرة، ثم بكت فكأن دمعها در تناثر من عقد، أو طل تساقط من ورد، وأنشدت:

أذنبت ذنبا عظيما فكيف منه اعتذاري؟
واللّه قدر هذا ولم يكن باختياري
والعفو أحسن شيء يكون عند اقتداري

قال أبو المغيرة بن حزم: فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب إلي، وسل سيف السخط علي، فقلت: أيدك اللّه تعالى! إنما كانت هفوة جرها الفكر، وصبوة أيدها النظر، وليس للمرء إلا ما قدر له، لا ما اختاره وأمله، فأطرق المنصور قليلا ثم عفا وصفح، وتجاوز عنا وسمح، وخلى سبيلي، فسكن وجب قلبي وغليلي، ووهب الجارية لي، فبتنا بأنعم ليلة، سحبنا فيها للصبا ذيله، فلما شمر الليل غدائره، وسل الصباح بواتره، وتجاوبت الأطيار بضروب الألحان، في أعالي الأغصان، انصرفت بالجارية إلى منزلي، وتكامل سروري.

10- حمدة بنت زياد المؤدب:[22] (ت نحو 600).

ولدت حمدة أو حمدونة على اختلاف بين الرواة بنت زياد المؤدب، وعاشت على واد جميل أخاذ يقال له وادي آش، يقع قرب غرناطة المدينة التي تحوطها البساتين والأشجار، وتحف بها الأزهار كما تحف الأهداب بالعيون، فيها جمال وروعة، وفيها سحر وجمال، ومدينة حمدة تابعة لها، ومكملة لعظمتها وأناقتها.

ويصفها ابن سعيد مع أختها زينب بأنهما «شاعرتان أديبتان، من أهل الجمال، والمال، والمعارف، والصون، على أن حب الأدب كان يحملهما على مخالطة أهله، مع صيانة مشهورة، ونزاهة موثوق بها».

ويذكر ابن سعيد بأن والده قال في حمدة: «هي شاعرة الأندلس» على أيامها، كما ينعتها عمّه: بأنها خنساء المغرب، لقوة شعرها، وصدق عاطفتها، وحرارة أسلوبها، وهي صاحبة المقطوعة التي نالت إعجاب الأدباء، وتقديرهم على مر العصور والأيام، وذلك لما تشتمل عليها من سحر البيان، وروعة التشبيه، وجمال التصوي، وبلاغة المعنى وحسن الخيال، وقوة السبك.

والمقطوعة هي :

وقانا لفحةَ الرمضاء وادٍ ... سقاه مُضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه غحنا علينا ... حنوَّ المرضعات على الفطيم
وأرشقنا على ظمأ زُلالا ... ألذَّ من المُدامة للنديم
يصدّ الشمس أنّي واجهتنا ... فيحجبها ويأذَنُ للنسيم
يُروع حصاه حَالية العذارى ... فتلمسُ جانبَ العقد النظيم

وقد أخذ بعض النقاد على الشاعرة استعمال كلمة «المرضعات»، وكان الأفضل لها تعويضها بالأمهات، لأن المرضعة قد تكون أُمًّا وقد تكون غيرها.

ويبدو أن المؤرخ المشرقي «ابن العديم» صاحب كتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب» قد استكثر على الشاعرة الأندلسية أن تقول مثل هذا الشعر الجميل، فقال: إن الأبيات للشاعر المشرقي المنازي، مما جعل أبا جعفر الأندلسي الغرناطي نزيل حلب، يتصدّى للرد على ابن العديم فيقول: «إن هذه الأبيات نسبها أهل هذه البلاد ـ المشرق ـ للمنازي من شعرائهم، وركبوا التعصُّب في جادة ادّعائهم، وهي أبيات لم يخلبها غير لسانها، ولا رقم بريدها غيرُ إحسانها.

ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا، بالأندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازي من العدم إلى الوجود، ويتصف بلفظة الموجود. (23).

فإذا ضنّ بعض الأدباء على شاعرتنا أن تجود قريحتها بمثل الأبيات السابقة، فماذا يقولون في المقطوعة التالية؟ وهي لا تقل روعة وجمالا من الأولى. هذه المقطوعة التي تصف فيها الشاعرة الفاتنة المفتونة، خروجها مع صبية المدينة إلى السباحة والاستحمام، في وادي شنيل بغرناطة. وفي المغرب: خرجت ـ حمدة ـ إلى وادي مدينة آش، مع جوارٍ، فسبحت معهن، وكان لها منهن هوىً (24). فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت :

أباح الدمعُ أسـراري بـوادي ... لـه للحسـن آثارٌ بـوادي (25)

فمن نهر يطـوف بكـل أرض ... ومن روض يرفُّ بـكـل وادي

ومن بين الظباء مهاة إنس ... سبت (26) لُبّي وقد ملكت فؤادي

لـهــا لحـظ تـرقــده لأمــر ... وذاك الأمـــر يمنعنـــي رقادي
إذا ســدلــت ذوائبها عليـهــا ... رأيــت البـــدر في أفق السواد
كــأن الصـبـح مات له شقيق ... فمــن حــزن تسربل بالحداد

أرأيتم هذه المقارنة البارعة؟ بين بياض الوجه وسواد الشعر، الذي يغطي الرأس والوجه، وينزل على الكتفين، وأثناء السباحة والاستحمام يعلو فوق الماء. ألاحظتم هذه الصورة الجميلة التي تعقدها بين هذه الحسناء المكتملة الشباب، وبين البدر في أفقه أثناء الليل ؟ وأخيرا انظروا إلى البيت الأخير، وما فيه من روعة التشبيه، وجمال التعبير، فبزوغ الفجر، وما فيه من حسن وبهاء، وظهور بياض ناصع في سواد قاتم، فهو شبيه بحسناء فاتنة، علمت بوفاة أخ شقيق لها، فأسرعت إلى لباس السواد، إعلانا للحزن، وإظهارا للنازلة الفاجعة.

ولعل من المناسب أن نذكر بأن بعض المدن الأندلسية كانت تلبس البياض في أيام الحزن، والحداد، على عكس ما هو معروف من لبس السواد أيام الكوارث والمصائب خاصة في الوفيات، والمآتم: قال الحلواني :

إذا كان البياض لُباس حــزن ... بأندلس فــذاك من الصـواب
ألم ترني لبست بياض شعري ... لأني قد حزنت على الشباب ؟

حقا إن هذا التعليل الذي اعتمد عليه الشاعر لتعليل منطقي مقبول، ولذلك نرى شاعرا آخر يشيد بهذه العادة في الحزن ويؤكد بأن ذلك من فطن أهل الأندلس، وذكائهم :

ألا يــا أهــل أنـدلـس فطنتم ... بلطفكـــم إلى أمـر عجيـب
لبستـم في مـآتـمـكـم بيـاضـا ... فجئتـم مـنـه في زي غـريـــب

صدقتم فالبياض لباس حزن ولا حُزْنٌ أشدّ من المشيب [27]

وبعد هذا الاستطراد نعود إلى شاعرتنا حمدة، ونتابع حديثنا معها، ونقف وقفة قصيرة وحول هذه المقطوعة السحرية الموحية :

ولما أبى الواشوان إلاّ قتالنا وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كلّ غارة وقَلّ حماتي ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك [28] وأدمعي ومن نَفسي بالسيف والسيل [29] والنار

وقبل أن نغادر الحديث عن حمدونة إلى غيرها، أحب أن أشير إلى أن هذه الأبيات أيضا قد نسبها بعض المشارقة إلى غيرها وأن أبا جعفر الأندلسي قد تصدّى للرد عليهم. ونقل كلام الرعيني: وقال: إن مؤرخي بلادنا نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازي الذي ينسبها له أهل المشرق وقد رأيت أن أذكر كلامه برمّته ونصّه: «كانت من ذوي الألباب، وفحول أهل الأداب، حتى إن بعض المنتحلين تعلق بهذه الأهداف وادّعى نظم هذه البيتين :

ولما أبى الواشوان إلا قتالنا وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة وقَلّ حماتي عند ذاك وأنصاري

لما فيهما من المعاني والألفاظ العذاب، وما غره في ذلك إلا بُعد دارها، وخلوّ هذه البلاد المشرقية من أخبارها» [30] .

وأنشد الملاحي عن أبي الكرم جودي عن البراق لحمدة ترثي صبيا صغيرا :

يعزّ علينا أن نُوسدكم الثرى بمجهله لا دار فيها ولا أهلا

وقد كنتُ أرجو أن يطول لك المدى وأنّك إن تاتِ الرَّدى تاته مَهلا
على أنّه مـالـذة العيـش للفتـى وغايته شـرخاً كغايته كـهـلا
عليك السّلام كلنا أنت فاقتعــد ضريحك لا حزنا تُبالي ولا سهلا [31]

11ـ ولاّدة [32] (ت : 484 هـ ـ 1091 م) .

عاشت في هذا القرن الخامس الهجري، ونشأت في مجتمع حضاري راق، وتنتسب إلى بيت عريق، وأسرة حاكمة أصيلة. هذه الشاعرة الساحرة الفاتنة ببديع شعرها، وجمال منظرها، وحسن مخبرها، هي ولادة بنت أمير المؤمنين المستكفي، محمد ابن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن عبد الرحمن الناصر، وُلدت بقرطبة، وترعرعت في بيت الخلافة، وتكوّنت على يد علماء أجلاء، وأدباء كبار، تولّى أبوها الحكم، وبويع بالخلافة لمدة قصيرة عام 416 ولكنه أُبعد عنها، لما كان يتّصف به من الخلاعة والنذالة واللؤم، بحيث لم يذكره أحد ـ ممن قرأت لهم ـ من المؤرخين بخير، فقد اجتمعت فيه كل صفات الخساسة والوضاعة، كان عبيد شهواته، وضحية نزواته، فقد ثار عليه خصومه وهجموا عليه في بيته، فلبس النساء، وفرّ إلى الثغر، وهناك مات ميتة مجهولة.

أما ابنته «ولادة» فقد بقيت بقرطبة، عاصمة الدولة، يجتمع عندها في قصرها الشعراء والأدباء، ويتنافس في نيل رضاها الأدباء والشعراء والوزراء.

فقال ابن دحية في كتابه «المطرب» يصف ولادة، ومكانتها الأدبية: وكانت في نساء زمانها، واحدة أقرانها، حضور شاهد، وحرارة أوابد،

وحسن منظر ومخبر، وحلاوة مورد ومصدر، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار مصر، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتها لك أفراد الشعراء والكُتاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها. فخلط ذلك بعلوّ نصاب، وسموّ أحساب، على أنها سمح اللّه لنا ولها، وتغمّد زللنا وزللها، أطرحت التحصيل، وأوجدت إلى القول فيها السبيل، بقلّة مبالاتها، ومجاهراتها للذاتها.

وأما ذكاء خاطرها، وحرارة نوادرها فآية من آيات فاطرها [33]، ويبدو أن ولادة بعد رحيل والدها، وجدت نفسها طليقة، مالُها وفير، وجاهها عريض، ونبوغها في فنون الشعر والموسيقى والغناء شهير، ففتحت أبواب قصرها للأدباء والشعراء ورجال الحكم، والدولة، تهيىء لهم كل ما يحتاجونه من نعيم، وما يسمعونه من أدب وشعر، ونقد سليم. وكانت تجلب إليها الأنظار، قبل الأذان والأذواق، فقد كتبت بماء الذهب على ثوبها الحريري الذي تضعه على كتفيها بيتين من شعرها، يثيران الاهتمام، ويشدان إليها الأبصار، والعواطف، والأذهان، كتبت على الجانب الأيمن :

أنا واللّه أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وعلى الجانب الأيسر :

وأمكّن عاشقي من صحن خدي وأُعطي قبلتي من يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف [34].

ـ ولادة وابن زيدون :

وكان ابن زيدون (463 ت : هـ) الوزير، والشاعر، والناقد، أحد المترددين إلى منتدى ولادة، يبتغي فيه تصيد الملفاتن، واغتنام المسرات، وإشباع النفس. والعقل لما يُلقى، ويقال، في كل المجالات، فأخذت منه ولادة قلبه وعقله، وسلبته لبّه وتفكيره، فتعشقها أبو الوليد، وجرت له معها أخبار مشهورة، ومواقف معروفة، وكانت تداعبه أحيانا، بهجائها اللاذع :

إن ابن زيدون على جهله ... يغتابني ظلما ولا ذنب لي

يلحظني شزرا إذا جئته ... كأنما جئتُ لأخصي علي

فقد تحدث أبو الوليد عن أول لقاء في ليلة طوياها في نعيم، ثم في عتاب أشبه بنعيم فقال :

كنت في أيام الشباب، وغمرة التصاب، هائما بغادة، تُدعى ولادة، أرى الحياة متعلقة بقربها، ولا يزيدني امتناعُها إلاّ اغتباطها بها، فلما قُدِّر اللقاء، وساعد القضاء كتبت إلي :

ترقبْ إذا جن الظلامُ زيارتي ... فإنّي رأيت الليل أكتم للسر

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا ... وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسر [35]

ويواصل ابن زيدون، واصفا أول لقاء بينهما على انفراد، وأنه ينتظر ساعة الميعاد قائلا :

فلما طوى النهار كافوره، ونشر الليل عبيره، أقبلت بقدٍّ كالقضيب، وردف كالكثيب، وقد أطبقت نرجس المقل، على ورد الخجل، فملنا على روض مدبج، وظلّ سجسبح، قد قامت رايات أشجاره، وفاضت سلاسل

أنهاره، ودرُّ الظل منثور، وجيب الراح مزرور، فلما شببنا نارها، وأدركت منا ثأرها، باح كلٌّ منّا بحبه، وشكا أليم ما بقلبه، وبتنا بليلة نجني أقحران الثغور، ونقطف رمان الصدور، ولما نشر الصبح لواءه، وطوى الليل ظلماءه، ودّعتها، وأنشدتها :

ودّع الصبر محب ودعك ... ذائع من سره نا ستودعك

يقرَع السنَّ على أن لم يكن ... زاد في تلك الخطا إذا شيعك

يا أخا البدر سناء وسنا ... حفظ اللّه زمانا أطلعك

إن يطُلْ بعدك ليلي فلكم ... بتُّ أشكو قصر الليل معك [36]

ذلك أول لقاء على انفراد بين الشاعرين، على ما يصرح به ابن زيدون، وتلك هي ولادة بقدها، وردفها، وعينيها النرجسيتين... ولم يكن هذا اللقاء هو الوحيد والفريد، بل تبعته لقاءات وسهرات، وليالي بيضاء هادئة، وها هو ابن زيدون يصف ليلة أخرى من تلك الليالي البيض، التي قضياها بين العود والغناء، وبين اللوم والعتاب، وسفك دماء الراح، إلى أن فصل بينهما الفجر والصباح، وقد أحضرت ولادة هذه المرة جاريتها «عتبة» لتقوم بالخدمة، وتنشر البهجة والسرور في المجلس، بالغناء والعود، فغنّت لهما باختيارٍ وأمرٍ من ولادة :

أحبتنا إني بلغت مؤملي ... وساعدني دهري واصلني حبّي

وجاء يهّنيني البشير بقربه ... فأعطيته نفسي وزدت له قلبي [37]

ويبدو أن الشاعر هو الذي ذهب إليها في هذه المرة، وأنها كانت في انتظاره، وبعثت من يشرف على استقباله، وقد أعجب ابن زيدون بصوت الجارية المغنية، وبحسن أدائها، فطلب منها الإعادة من غير استئذان

ولادة، فدبّت الغيرة في قلبها، وظهر أثر ذلك على وجهها، فانقلب الضياء ظلاما، والنهار ليلا، والابتسام تجهُّما. فاتجهت الأميرة الحبيبة إلى جاريتها تضربها، وتعنّفها فأعرضت عن الحبيب، ونترك ابن زيدون يصف ذلك بقلمه السيال، فهو الذي عاش واكتوى، وشاهد المنظر والمحتوى.

قال ابن زيدون : فسألتها الإعادة بغير أمر ولادة، فخبا منها برقُ التبسم، وبدا عارض التجهُّم، وعاتبت «عتبة» بل ضربتها، فقلت :

وما ضربت عُتبى لذنب أتتْ به ولكنّما ولادَة تشتهي ضربي

فقامت تجر الذيل عاثرةً به وتمسح طل الدمع بالعنم الرطب (38)

فبتنا على العتاب، في غير اصطحاب، ودم المدام مسفوك، ومأخذ اللهو متروك، فلما قامت خطباء الأطيار، على منابر الأشجار، وأنفت من الاعتراف، وباكرت إلى الانصراف، وشتْ بمسك الأنفاس، على كافور الأطراس.

لو كنتَ تُنصف في الهوى ما بيننا لم تهو جاريتي ولم تتخيّر

وتركتَ غُصنا مثمرًا بجماله وجنحت للغصن الذي لم يثمر

ولقد علمت بأنني بدر السما لكن دُهيتُ لشقوتي بالمشتري (39)

فولادة الأميرة المترفة الشاعرة ترى نفسها بدرا يتبختر بين النجوم، سلطانا وجمالا، وبروزا، وتستعمل أساليب التورية والطباق، والنفي، والإثبات، وتتلاعب بالألفاظ والكلمات، كما تتلاعب بالعقول والعواطف والذوات.

تلك هي بعض مجالس الأنس التي كانت تقام بقرطبة، وذلك بعض ما كان يجرى فيها من مجالس أدب ولهو وطرب.

وكانت المراسلة بين الشاعرة وابن زيدون بلغة الشعر، فقد كتبت إليه بعد ما صدر منها من إعراض ولوم وعتاب، معتذرة، ومتشوقة، كأنها خائفةً من اتّساع الخلاف، فيطول، وعدم التلاقي والاصطحاب، وتدعوه لجمع الشمل والتخفيف من ألم الفراق، فتقول:

ألا هل لنا مـن بـعـد هـــذا التفرُّق — سبيل؟ فيكشو كلُّ صبٍّ بما لقي
وقد كنتُ أوقـــات التزوار في الشّتا — أبيت على جمرٍ من الشوق محرق
فكيف؟ وقد أمسيت في حال قطعة — لقد عجّل المقــدار ما كنت أتقـي
تمر الليالي لا أرى البيـن ينقضـــي — ولا الصبر من رِقّ التشوُّق معتقي
سقى اللّه أرضا قد غدت لك منزلا — بكـل سكوبٍ هاطلِ الوبلِ مُغدق

وهكذا تبرز ظاهرة جديدة في الشعر الأندلسي، وهي ظاهرة تغزل المرأة بالرجل، وكانت التقاليد المعروفة أن يتودّد الرجل للمرأة، ويتذلّل لها، ويرجو وصالها، لا أن يكون العكس كما في هذه المقطوعة، حيث نرى ولادة تُصرِّح بأنها قد ضاقت لغياب الحبيب، ولم تطق صبرا على هذا البعد، ولا ترى في ذلك بأسا، ولم تجد معارضة في مجتمعها ـ فيما نعلم ـ.

ونرى ابن زيدون يجيبها شعرا، على نفس القافية والوزن والموضوع:

لحا اللّه يـومـا لسـت فـيـه بملتـق — محياك من أجــل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة؟ — وأي سرور للكئيـب المـؤرق؟ (40)

وكتب لها ينبهها بأن البيت الأخير من مقطوعتها يحتاج إلى تعديل

وتقويم، إذ يمكن لهذا الوبل المغرق أن يغرقه ومنزله، فيهلك ويحل به الدمار، وذلك ما لا تقصده، بل لا تريده، ويذكّرها بأن القدامى قد انتقدوا قول ذي الرمة: (41)

ألا يا سلمي يا دار ميّ على البلى ولازال منهلا بجرعائك القطر

حيث أخذوا عليه بأن معنى البيت أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له، ذلك مما ينبغي الاحتراز منه، وأشار عليها ببيت آخر مناسب لذي الرمة وهو قوله:

فسقى ديارك غيرُ مفسدها صوبُ الربيع وديمةٌ تهمي (42)

وإنما فعل ابن زيدون هذا بناء ـ على ما يبدو ـ على طلب ولادة في نقد شعرها، وتنبيهها إلى أماكن الضعف فيه، فتتلافاه في المستقبل، إذ تعتبره أستاذها، وحبيبها في وقت واحد. ومما لا شك فيه أن ابن زيدون يحاول جهده أن ينفرد بولادة، وأن لا يشاركه فيها أحد، وأن كل من يقترب منها ويطلب رضاها ووصالها يهاجمه، ويُحذّر ولادته من الوقوع في مخالبه، فهذا الوزير ابن عبدوس يحاول جاهدا التقرب من ولادة، ويتحيّن الفرص لاحتلال قلبها، وإبعادها عن سواه، وهنا تدب الغيرة في نفس ابن زيدون، ويسيل قلمه، ويهجو ابن عبدوس، ويصفه بأقبح الصفات، وفي سَوْرة هذا الغضب الجامح، وبلا وعي منه، أو عن قصد ووعي، تُصيب شاظاي لسانه ولادة، فتتحرك للدفاع عن نفسها، وتهجو ابن زيدون بهجو مر قبيح. ضمنته من الفحش، وسقط اللسان ما لم يسبقها إليه إنسان:

إن ابن زيـدون على فضلـه   يـعشـق قضبـان السـراويـل
لـو أبـصـر الأيـر على نخلـة   صـار مـن الطـيـر الأبابيـل

ولا تكتفي بهذا الكلام الذي يتحاشى أن يلفظه اللسان، وتقول متهمة إياه بأخبث الصفات، وأعظم الموبقات:

إن ابـن زيـدون على فضلـه   يغتابني ظلمـا ولا ذنـب لـي
يلحظنـي شـزرا إذا جـئـتـه   كـأنـي جئـت لأخـصـي علـي

هكذا تنقلب ولادة بين عشية وضحاها، من حملٍ ودودٍ وديع، يرجو الاتصال ويخاف من الانفصال، ولا يطيق الصبر على البعد والنوى، إلى حيوان شرس، كله غضب وحُبٌّ في الانتقام:

ولُقّبتَ المسـدس وهـو نـعـتُ   تفـارقـك الحيـاة ولا يـفـارق
فـلـوطـي ومـأبـون وزان   وديـوثٌ وقرنان وسـارق [43]

حقا عندما نعود إلى ما قاله ابن زيدون في ولادة عرضا، لايصل إلى هذه النعوت والاتهامات، ولاينزل إلى أسفل هذه الدرجات، من الحقارة والمذلة والهوان. لنترك ولادة قليلا ولنذكر بعض ما قاله ابن زيدون في ابن عبدوس المنافس الخطير له فيها:

وشـمـرتَ للخوض في لجة   هي الموت ساحلها لم يخض
وغـرّك مـن عـهـد ولاّدة   سـرابٌ تراءى وبرق ومـض
تـظـن الوفـاء بها؛ والظنّو   ن فيها نقـول علـى مَن فَرَضْ
هـي الماء يأبى على قـابـض   ويمنع زبـدتـه مـن مخـض
ونُبّئتُها بـعـديَ استحمدتْ   بسرّي إليـك لمعنى غـمـض

أبـا عـامــر عـثـرة فاستقل   لتبـرم من ودهـا مـا انتفــض
وحسبــي أني أطبتْ الجنــى   للإبانه، وأبحــتُ الـنـفـض (44)

ونرى ابن زيدون ـ بعد اليأس من العودة إلى ولادة، واستحواذ الوزير ابن عبدوس على مكانه منها ـ يعلل نفسه بأنه قد أصاب منها ما يحب، وأنه لم يترك لغيره إلا ما لا يلتقط ويجتنى. وكان ابن عبدوس يكنى بالفار فقال:

أكــرمْ بولادة عـلْقًا لمعتـلـيــق   لــو فـرّقــت بين بيطار وعـطــار
قالوا أبو عامر أضحى يلّـم بـهــا   قلت الفراشة قد تدنــو من النـــار
عيّرتمونا بأن قــد صـــار يخلفنا   فيمن نحب وما في ذاك مــن عــار
زادٌ شهيٌ أصبنا مــن أطايـبــه   بعضًا وبعضا صفحنا عنه للفار (45)

ولم تكن ولادة ساخرة ومفحشة في ابن زيدون وحده، فقد تعود لسانها على القول القبيح، ووصف غيره بمثل ذلك من النعوت، فقد مرت يوما على الوزير أبي عامر ابن عبدوس، وهو جالس أمام داره، وبالقرب منها بركة تتولّد عن كثرة الأمطار، وربما استمدت بشيء مما هنالك من الأقذار، وقد نشر أبو عامر كُمَّيه ، ونظر في عطفيه، وجمع أعوانه إليه، فقالت له:

أنــت الخصيــب وهــذه مصـر   فـتـدفـقـا فـكـلاكـمـا نــهـــر

فتركته لا يحير جوابا ولايرد طرفا، وحفظت هذه النادرة، وشغل بها الناس حينا من الزمن. ومن الذين نالوا حظهم من سخرية ولادة، وهجائها اللاذع، الأصبحي حيث قالت فيه:

يـا أصبحـي أهنأفكـم نعمةٍ جاءتك من ذي العرش رب المنن

فقد نلتَ بُأسْت ابنك ما لم ينل بفـرج بـوران أبوها الحسن [46]

وكانت ولادة إلى جانب كونها شاعرة عالمة بالعلوم الشرعية، مجازة في العربية وآدابها:

يحدثنا بدر الدين الصديقي بأنها أجيزت بالإفتاء والتدّريس. أما ابن نباتة المصري فيصفها بذات خلق جميل، وأدب غض، ونوادر عجيبة، ونظم جيد. بينما نرى القاضي، أبا القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، لا يتفق مع ابن نباتة في سلوكها وأخلاقها، وهو أدرى بها وأحق، وأهل مكة أدرى بشعابها، كما يقول المثل العربي القديم: حيث يقول: سمعت شيخنا أبا عبد اللّه جعفر بن محمد بن مكي القرطبي (ت : 535) يصف نباهة ولادة وفصاحتها، وحرارة نادرتها، وجزالة منطقها، وقال لي: «لم يكن لها تصاون يطابق شرفها» [47]. ويتحدث عنها ابن خاقان بكلمات فيها سجع، وإغراء وجمال حيث يقول: وكانت من الأدب والظرف، وتتميم المسمع والطرف، بحيث تختلس القلوب والألباب، وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب [48].

وفيها يقول الضبي: أديبة، شاعرة جزلة القول، مطبوعة الشعر، تخالط الشعراء، وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء [49] .

وأخيرا يقول فيها المقري: كانت واحدة زمانها، المشار إليها في أوانها، جميلة المحاضرة، مشكورة المذاكرة [50].

تلك هي بعض الأراء من الذين تناولوا ولادة بالبحث، وتعرضوا لحياتها بالدراسة والتنقيب، بقي أن نشير بأن ولادة كانت تلقب بعلية

المغرب تشبيها لها بعلية المشرق، بنت الخليفة العباس المهدي، والتي نبغت ببغداد، وعاشت نصف قرن من الزمن (160 ـ 210 هـ) إلا أن ولادة تزيد عليها بمزية الجمال الفائق. وأما الأدب والشعر والنادرة، وخفة الروح، وحلو المعاشرة، فلم تكن تقصر عنها، كما لها صنعة في الغناء ودراية في الموسيقى.

وشعر ولادة، كما رأينا في النماذج السابقة، قوي السبك، سهل الألفاظ، سلس العبارة، ليس فيه تكلُّف ولا تأنّق، أما موضوعاته فتكاد تنحصر في العزل والفخر، والفكاهة والدعابة، والسخرية، والهجاء. وكانت لا تتروع في استعمال الألفاظ البذيئة التي تقطر فحشا، وترشح عيبا، وإليها يعود الفضل في إذكاء شاعرية ابن زيدون، وإلهامه القصائد الغزلية الرائعة، والتي تُعدُّ بحق من أروع ما أنتجه الفكر الإنساني على مر العصور .

إذ كان يكلف بها، ويهيم، ويستضيئ بنور محياها في الليل البهيم .

ولعل أرع قصائده التي تذوب وجدا وحنينا، وهياما، التي مطلعها:

أضحى التنائي بديلا من تدانينا ونـاب عن طيـب لقيانا تجافينا

بنتم وبنا فما ابتلَّت جوانحنـا شوقا إليكم ولا جفَّت مآقينـا

هذه القصيدة التي أصبحت على مدى الأيام والسنين مثالا يحتذى، تقلد، وتعارض، وتُغنى وتنشد، فلا تملُّها الأسماع، ولا يُبليها مرور الزمن، ذلك هو الأدب الحي الذي يبقى ما بقيت الأرض والسماء. هذا وقد امتد بولادة العمر طويلا، وعاشت ما يقارب التسعين سنة، والتحقت بربّها سنة أربع وثمانين وأربعمائة (484) .

مهجة بنت التياني القرطبية: [51]

هذه شاعرة أخرى قرطبية المولد والنشأة، لها علاقة وطيدة بولادة، وكانت من أجمل نساء زمانها، وأخفهن روحا، وأكثرهن دعابة، فهي من الطبقة الشعبية، فقد كان أبوها بائع تين، وفواكه وخضر، ولذلك عرفت باسم « مهجة بنت التياني» ورغم أنها لم تكن من طبقة الملوك والأمراء، ولا من البيوتات المرموقة الغنية، بل كانت من الطبقات الشعبية العادية، بالرغم من هذا كله فقد استطاعت بأدبها، وحلاوة منطقها، وحسن عشرتها، وجمال منظرها، أن تتوصل إلى ولادة، وتُكوّن معها علاقة صداقة ومودة، فقد علقتها هذه الأخيرة، وأحبَّت منها خفة روحها، وحسن منظرها، فتولت تربيتها وتأديبها، واعتنت بها، حتى أصبحت شاعرة منافسة لها، ولذلك لم تدم العشرة بين الشاعرتين الجميلتين طويلا، إذ سرعان ما انقلبت الصداقة إلى تنافس، ثم إلى هجاء لاذع قارس، وقديما قيل: إن المشاركة في المهنة عداوة.

فقد وقع بين مهجة وولاة صاحبة نعمتها ما أوجب أن تقول فيها:

ولادة قد صرت ولادة　　　من غير بعل، فضح الكاتم
حكت لنا مريم لكنه　　　نخلة هذي ذكر قائم

حتى قال بعضهم: لو سمع ابن الرومي ـ وهو الهجّاء المعروف ـ هذا الشعر لأقرَّ لمهجة بالتّقدم في فن الهجاء.

وأهدى لها أحد الهائمين بها، والمعجبين بجمالها الفتان، خوخا فكتبت إليه:

يا متحفاً بالـخـوخ أحـبـابـه أهلاً به مـن مُثلج للصـدور
حكـى ثدي الغيد تفليكــه لكنه أخزى رؤوس الأيـور

اعتماد الرميكية:[52]

ومن شاعرات الأندلس في القرن الخامس الهجري جارية المعتمد بن عباد، ملك إشبيلية، وأم أولاده التي شاركته أيام عزه وسلطانه، وقاسمته أيام سجنه واعتقاله، والإطاحة به، وسبب اختيار المعتمد لها قرينةً وزوجا، أنه كان على زورق متجولا كعادته في النهر الكبير بإشبيلية، ومعه وزيره ابن عمار الشاعر المشهور، وقد زردت الريح ماء النهر، فقال ابن عباد لوزيره ابن عمار أجز:

صنع الريح من الماء زرد

فأطال ابن عمار التفكير، ولم يوفق لإكمال البيت، فقالت امرأة من الغسالات قرب النهر:

أيّ درع لقتال لو جمد

فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به، مع عجز ابن عمار، ونظر إليها فإذا هي فتاة جميلة أنيقة فأخذت بلبه، وملأت عينيه، فسألها: أذات زوج هي؟ فقالت: لا. فقرر الزواج بها، وخطبها من أهلها، فأصبحت زوجته المحظية، وقرينته المحبوبة.

هذه الجارية الشاعرة هي التي كانت السبب في قتل الوزير ابن

عمار، لأنه تعرّض لها في قصيدة يتهجّم فيها على أصلها، ويستهجن بنسبها، وأنها من بنات الهجان، لا تساوي عقالا، وفي القصيدة تعريض واضح على سيده وملكه، ويستهزيء به وبغيره من ملوك الطوائف، وأنهم لا يمثلون الملوك إلا أشكالا، وصورا خيالية لا روح فيها.

مّما يزهدُني في أرض أندلس أسماء معتضد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهرّ يحكي انتفاخا صولة الأسد

والقصيدة التي كانت السبب في قتله وإثارة حفيظة المعتمد عليه، هذه بعض أبياتها:

تخيرتها من بنات الهجان رميكية ما تساوي عقالا

فجاءت بكل القصير العذار لئيم النجارين: عمّا وخالا

قصار القدود ولكنهم أقاموا عليها قرونا طوالا

وبعد التعرض للجارية اعتماد، ينتقل إلى المعتمد نفسه، ويذكره بأيام حياته الأولى، وما جرى بينهما، ويكشف ستره، ويفضح أعماله:

أتذكر أيامنا بالصبا وأنت إذا لحت كنت الهلالا

أعانق منك القضيب الرطيب وأرشف من فيك ماء زلالا

وأقنع منك بدون الحرام فتقسم جهدك أن لا حلالا

سأهتك عرضك شيئا فشيئا وأكشف سترك حالا فحالا

فيا عامر الخيل ويازيدها منعت القرى وأبحت العيالا

ونقل المقري في نفحه عن ابن سعيد المغربي في بعض مصنفاته، أن المعتمد بن عباد ملك إشبيلية، كان كثيرا ما يأنس بزوجته اعتماد،

ويستظرف نوادرها، ولم تكن لها معرفة بالغناء، وإنما كانت مليحة الوجه، حسنة الحديث، حلوة النادرة، كثيرة الفكاهة، لها في ذلك نوادر محكية. ومن أخبارها القصة المشهورة في قولها « ولا يوم الطين» وذلك أنها رأت الناس يمشون في الطين، فاشتهت أن تفعل ذلك، فأمر المعتمد، فسُحقت أشياء من الطيب، وذُرّت في ساحة القصر، حتى غمّته، ثم نصبت الغرابيل، وصُبّ فيها ماء الورد على أخلاط الطيب، وعُجنت بالأيدي، حتى عادت كالطين، وخاضتها اعتماد الرميكية مع جواريها وبناتها، وغاضبها يوما، فأقسمت أنها لم تر منه خيرا قط. فقال: «ولا يوم الطين» فاستحيت واعتذرت. وهذا مصداق قول نبينا صلى اللّه عليه وسلم في حق النساء» لو أحسنت إلى إحداهن الدهرَ كلَّه، ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط».

وإلى هذه القصة يُشير المعتمد يوم كان أسيرا، وقد دخل عليه أهله يوم العيد يهنؤونه، وفيهم بناته، وعليهن أطمار كأنهن كسوف وهن أقمار، يبكين عند التساؤل، ويبدين الخشوع بعد التخايل، والضياع قد غيّر صورهن، وحيّز نظرهن، وأقدامهن حافية، وآثار نعيمهن عافية، فقال:

فيما مضى كنتُ بالأعياد مَسْرورا ... فساءك العيدُ في أغمات مأسورا

تـرى بناتك في الأطمـار جائعة ... يغزلن للناس مـا يملكن قطميـرا

بـرزن نحوك للتسليـم خاشـعـة ... أبصارهـن حسيرات مكاسـيـرا

يطأن في الطين والأقدام حافيـة ... كـأنها لم تطـأ مسكا وكـافـورا

مَن بات بعدك في مـلـكٍ يُسرُّ به ... فإنّما بات بالأحلام مغـرورا (52)

وقد توفيت الرُمكية اعتماد بأغمات قبل زوجها بقليل، وذلك عام ثمانية وثمانين وأربعمائة (488 هـ) فكانت حياتها وحياة عائلتها عبرة لمن يعتبر [53].

بثينة بنت المعتمد بن عباد: [54]

ومن أبناء المعتمد من الجارية المحببة اعتماد، الشاعرة العفيفة الأبية «بثينة» لقد نشأت بثينة وترعرعت في ظل السلطة والملك والجاه، وعاشت في بيت الثراء والرفاهية والنعيم، وتربّت في جو العلم والأدب والشعر، فأبوها ملك وشاعر، وأمها أدبية شاعرة، فكانت مثل أمها جمالا وأناقة، وضرب مثل، وصوغ نادرة، واتجال الشعر، ولكن حياتها الوادعة لم تدم طويلا، فقد أسقط المرابطون ملوك الطوائف، ووضعوا حدا لتلك الدويلات الممتناحرة على حساب المصلحة العليا للأمة.

فكان المعتمد من أبرز ملوك الطوائف، قاوم المرابطين بكل ما يملك، ولكن قوة المهاجمين كانت أعظم، فسرعان ما وقع في أيديهم، واقتادوه مع أهله، مكبلاً إلى أغمات خارج مراكش، حيث عاش طريد حزن، وجوع، وحرمان، إلى أن وفته منيته. أما ابنته بثينة فقد وقعت أسيرة في قصر أبيها. وبيعت في سوق النخاسة، كما يباع العبيد، حيث اشتراها أحد التجار، ووهبها لابنه، للطفها وجمالها، فلما أرادها الإبن امتنعت عليه قائلة له: إني لا أحل لك إلا بعقد نكاح، لأنني حرة وبنت ملك، ولا أتزوجك إلا برضى أبي، الولي الشرعي، وأشارت على أهل الابن أن يوجهوا كتابا إلى

أبيها السجين، بأغمات، على أن تتولى هي كتابة الكتاب، وينتظرون الجواب منه، فكان الذي كتبته بخطها:

إسمع كلامي واستمع لمقالتي فهي السُلوكُ بدت من الأجياد
لاتنكروا أنـي سُبيت وأنـنـي بـنـتٌ لملك مـن بـنـي عـبـاد
مـلـك عظيم قد تولى عـصـره وكـذا الـزمـان يـؤول للإفساد
لـمـا أراد اللّه فُرقـةَ شـمـلـنـا وأذاقنا طـعـم الأسـى مـن زاد
قام النفاق على أبي في ملكـه فدنا الفراق ولـم يـكـن بـمراد
فخرجتُ هاربةً فحازنـي امـرؤ لم يـأت في أفعاله [55] بسـداد
إذ باعـنـي بيع العبيد فضمني من صانني إلا مـن الأنـكـاد
وأرادنـي لنـكـاح نجل طاهر حسن الخلائق من بني الأمجاد
ومضى إليك يسوم رأيك في الرضا ولأنـت تنظر في طريق رشـادي
فعسـاك يا أبـتـي تعرفنـي بـه إن كـان ممن يـرتـجى لـودادي
وعسى رميكية الملوك بفضلها تدعو لنـا باليُـمـن والإسـعـاد

فلما وصل خطابها إلى أبيها المعتمد، المسجون بأغمات، سرّ بالخطاب أيما سرور، إذ كان عليها في حزن دائم، وأسف شديد، لأنه لا يعلم مصيرها، ولا ماذا حلّ بها، فلما قرأ شعرها، وعرف حالها، زالت عنه الحيرة، واستبشرت الوالدة بسلامة ابنتها الشاعرة الأديبة، فكتب المعتمد إليها في الحال ووافق على الزواج، وأوصاها بالبرور بالزوج، والصبر على الفراق، ومصائب الزمان وحوادث الليالي والأيام:

بـنـيـتـي كـونـي بـه بـرة فـقـد قـضـى الـدهـر بإسعافه

البلسية: (56)

هذه الشاعرة تنسب إلى بلس، شاعرة أمية، قال أحمد بن يحي الضبي: أنشدني بعض أصحابنا من شعرها، وهي بكر في دار أبيها:

لي حبيب خده كالورد حسنا في بياض
هو بين الناس غضبان وفي الخلود راض
فمتى ينتصف الظلوم، والظالم قاض

قال: وأنشدني من شعرها قطعة لا أذكرها الآن .

العبادية جارية المعتضد: (57)

ونختم الكلام عن العائلة العبادية المالكة بإشبيلية بجارية المعتضد عباد، والد المعتمد، هذه الجارية أهداها إليه مجاهد العامري، حاكم دانية، وكانت العبادية أديبة ظريفة، كاتبة، وشاعرة، ذاكرة لكثير من كتب اللغة والأدب، ومما يدل على فطنتها، وقوة ذاكرتها، وسرعة بديهتها أن سيدها عبادا سهر لية لأمر أحزنه ، وأقلق مضجعه، وهي نائمة بجانبه فقال:

تنام ومدنفها يسهر وتصبر عنه ولايصبر

فأجابته بديهة:

لئن دام هذا وهذا له سيهلك وجدا ولايشعر

أم الكرم بنت المعتصم بن صمادح: (58)

ومن شاعرات المارية، عاصمة بن صمادح، العامرة بكل أنواع النعيم،

فقد كانت قصور الملوك بها مزدحمة بالشعراء والشواعر، والعلماء، والأدباء الأكابر، فمن شواعرها أم الكرم، هذه الأديبة الشاعرة، ليست من طبقة العامة، ولا من دهماء الشعب، بل هي من السادة الذين سمت بهم المنازل، وارتفع بهم الجاه، أبوها على رأسه التاج، وفي يديه الصولجان، والدنيا مقبلة عليه، والسعد كلّه حاضر بين يديه، ومع كل ذلك نرى ابنته «أم الكرم» غلبت عليها نزعة الأدب، وتفتّق ذهنها على الشعر، واستهوتها الدراسة، وحلقات البحث والطلب، ولم يمنعها مركزها الاجتماعي، من أن تعشق فتًى مشهورا بالجمال، موصوفا بالكمال، معروفا بالنبل واللطف والدلال، هذا الفتى المحظوظ من بلد «دانية» يدعى «السمار» فنظمت فيه أم الكرم الموشحات، وطلبت أن تغنيها بين يديها المغنيات وقالت فيه ما اشتهر بين الناس، وتناقلته الألسنة:

يا معشر الناس ألافا عجبوا ... مما جنته لوعةُ الحب

لولاه لم ينزل بدر الدجى ... من أفقه العلوي للترب

حسبي بمن أهواه لو أنه ... فارقني تابعه قلبي

فهذه مقطوعة لطيفة رقيقة، جادت بها قريحة أميرة تعترف بأن للحب سلطانا فوق كل سلطان، وأنها من الدرجة العليا، وأن المحبوب من الدرجة السفلى، فهي البدر في السماء وهو التراب في الأرض، ورغم كل هذا فلا تستطيع مفارقته والابتعاد عنه، هذه جرأة ما تعوّدناها من غير شاعرات الأندلس، جرأة من أنثى تتغزل بالرجل، وتهيم به، ويطير قلبها حيث طار المحبوب.

ونرى المعتصم بن صمادح ملك المرية، لما سمع شعر ابنته، اشتدّ غضبه، وبحث عن الفتى «السمار» حتى إذ قبض عليه، أنزل به العذاب الشديد، وأخفى أمره عن الوجود، ظنا منه أن الأمر قد انتهى، ولكن هيهات، فقد ازداد الخبر انتشارا، واشتغل بذلك الناس سرّا وإعلانا. ومن شعر أم الكرم في فتاها المحبوب قولها:

ألا ليت شعري هل سبيلٌ لخوة ... يُنزه عنها سمعُ كلّ رقيب

ويا عجبا أشتاق خلوة مَن غدا ... ومثواه مابين الحشا والترائب

أم العلاء بنت يوسف الحجارية [59]:

هذه الشاعرة الأديبة ينسبها ابن سعيد إلى بلاد الغرب، ويقول: إن قومها قد استوطنوا الأندلس. وبها نشأت أم العلاء، وأنها من أهل المائة الخامسة، وكانت من الإجادة والنباهة مما جعل بلادها «وادي الحجارة» تفتخر بها، ويتباهى بها قومها وقبيلها.

فمن شعرها العاطفي الرقيق، الذي يظهر فيه الحياء، والحنان، كما يتراءى من خلاله الإعجاب بالمحبوب، والإطراء له، والمديح الممزوج بالحب.

كل ما يصدر عنكم [60] حسن ... وبعلياكم تحلى [61] الزمن

تعطف [62] العين على منظركم ... وبذكراكم تلذّ الأذن

مَن يعش دونكم في عمره ... فهو في نيل الأماني يُغْبن

ونراها في مقطوعة أخرى تشكو في استحياء، وتعلن حبها في تذلُّل

وتردُّد، واحتراز، ولم تصرخ صراخ أم العلاء في المرية، بل صاحت بصوت خافت رهيف، يسمعه القريب، ويعيه الأديب الأريب:

آفهم مطارح أحوالي وما حكمت ... بـه الشواهـدُ واعذرنـي ولا تلُـم
ولا تكلنـي إلى عـــذر أبيّـنــه ... شرُّ المعاذير مـا يحتـاج للكلـم
وكــلّ ما جئتهُ مـن ذلةِ فبمـا ... أصبحتُ في ثقة من ذلك الكرم

وعشقها شيخ كبير، قد اشتعل رأسه شيبا، وفارقه الشباب، واقترب من القبر أو كاد، فطلب يدها، وتمنى أن ينال رضاها، ويُصبح بعلها، ويفوز بقرانها، فكتبت إليه، تعلمه، بأن طلبه مرفوض، وأنه لايمكن الجمع بين الليل والنهار، ولابين الضياء والظلام:

يـا صـبح لا تبـدي إلى جنحي ... فالليل لايـبـقـى مـع الصُّبـح
الشـيـب لايخـدعُ فيه الصبى ... بحيلـة فاسـمـــع إلى نُـصحـي
فلا تكن أجهل مـن في الـورى ... يبيت في الجهل كـمـا يـضحـي

وأم العلاء شاعرة لها كبرياؤهاو إباؤها، وعزة نفسها، فهي لا تريد أن تعكف كغيرها من بنات جنسها على المدامة، والغناء، واللهو والطرب، لأن ذلك يذهب من كرامتها، وينال من عزة نفسها الأبية، فهي لا تأخذ حظها من الكؤوس وبنت الكرم، ولايستهويها اللهو والأنغام على حساب الإباء والأنفة.

لـولا منـافـرة المـــدا ... مـــة للصبابـة والـغـنـا
لعكـفـت بـيـن كؤوسها ... وجمعت أسبـاب المنـى

وقالت تصف قصب واديها ـ وادي الحجارة ـ وهو يتمايل في كف الرياح، ويتبختر يمينا وشمالا كتبختر البنود المترفرفة على خفقات

النسيم، وقد اصطفت قوائمها وارتكزت الواحدة تلو الأخرى في انتظام:

للّه بُستــانـــــي إذا   يهفو به القَصَبُ المنـدى
فكــأنـمـا كــف الـريــا   ح قد أسندت بندا فبَنْدا

زينب المرية: (63)

ومن شاعرات هذا الإقليم، إقليم المرية، شاعرة ناضجة فتية، تتحدث عن صاحبها بكل صراحة ودونما التواء، بضمير الغائب المفرد، ولا تفعل كصاحبتها الغسانية حيث تخفي حبها، تحت ستار ضمائر الجمع الغائبة، كبرياء، وأنفة، هذه الشاعرة هي زينب المرية، هكذا ذكرها المقري، بدون التعرض لأصلها ونشأتها، وتكوينها، وإنما اكتفى يوصفها بأنها أديبة شاعرة، وحتى الدكتور إحسان عباس، وهو الأستاذ والحجة في الأدب الأندلسي لم يذكر للشاعرة مصادر إلا الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد اللّه محمد.. المراكشي، بدون أن يذكر كعادته الجزء والصفحة والطبعة، كما أن صاحب النفح لم يذكر للشاعرة إلا مقطوعة واحــدة.

تقول فيها:

يــا أيـهـا الراكبُ الغـــادي لطيَّته   عرِّج أنَبِئْك عن بعض الذي أجــد
ما عالج الناس من وجد تضمّنهم   إلا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا
حسبـي رضــاه وأنّي في مَسَرّتــه   ووّده آخــرَ الأيــــام أجـتـهــد

غاية المنى: [65].

ومن هذا السيل الجارف من الشواعر، جارية أندلسية، جميلة المنظر، خفيفة الروح، فصيحة المنطق، ذكية، طريفة، حلوة المعاشرة، عاشت في عصر ملوك الطوائف حيث التشجيع من الملوك والأمراء لكل عالم، وأديب، وشاعر. هذه الجارية هي الأديبة والشاعرة، غاية المنى، قُدّمت إلى حاكم «المرية» المعتصم بن صمادح، كتحفة رائعة، فأراد الحاكم اختبارها والاطلاع على فحواها ومخبرها، فسألها: ماسمك يا جارية؟

فأجابت: غاية المنى.

فقال لها في الحال أجيزي:

اسألوا غاية المنى

فقالت:

من كسى جسمي الضنا

وأراني مولّها سيقول الهوى أنا

ولم يكتف المعتصم بهذا الاختبار السريع، بل بعثها إلى الأستاذ ابن الفراء الخطيب الشاعر، ليختبرها، ويعطي رأيه فيها. وكان ابن الفراء كفيف البصر، دقيق الملاحظة، سريع البديهة، قوي الذاكرة، نافذ البصيرة، فاختبرها، واستجازها، فأجازت في الحال، حيث فال لها: ما اسمك؟ قالت: غاية المنى: فقال: أجيزي:

سل هوى غاية المنى من كسى جسمي الضَّنا

فقالت تجيزه:

وأرانـــــــي متيَّمـــــا سيقــول الهــوى أنــا

فأشار على المعتصم أن يزين قصره بها، وأن يحلّي مجلسه بأدبها، حينذاك اشتراها المعتصم، فكان يتباهى بها لدى نظائره، من الملوك والأمراء من بين شواعر هذا العصر.

هند جارية الشاطبي:

هذه الشاعرة مملوكة لأبي محمد عبد اللّه بن مسلمة الشاطبي، وكانت أديبة، وشاعرة، أنيقة فنانة، تُحسن الضرب على العود، وتجيد التلحين، فتملك بصوتها وأدبها، وجمالها، الأسماع، والأبصار، والقلوب. كتب إليها الأديب الشاعر أبو عامر ابن ينق رقعة يدعوها للحضور عنده بعودها لإقامة مجلس الطرب، فكتب مع الدعوة:

يــا هندُ هـــل لك في زيارة فتية نبذوا المحارم غير شــرب السَّلسَل

سمعوا البلابل قد شَدَوًا فتذكّروا نغمات عــودك في الثقيل الأول

فلما قرأت هند الدعوة، أخذت قلما، وكتبت على ظهر الرقعة في نفس الروي والوزن قائلة:

يـا سـيـدا حـاز العُلا عن سـادةٍ شـمِّ الأنوف من الطّراز الأول

حسبي من الإسراع نحوك أنـنـي كنتُ الجواب مع الرسول المقبل

فإذا طوينا صفحات المائة الخامسة، وخطونا خطوة إلى الأمام، إلى المائة السادسة وجدنا في طريقنا عددا هائلا من الشواعر لّهن من النظم، والنثر، ما يجعلنا نقف له إجلالا لكماله، وإكبارا لسحره الحلال، وجماله الفتان، فمنهن شاعرة شريفة النجارة، أصيلة النسب، لم يصل إلينا لحد الآن

من شعرها إلا بيتان فقط، ولكنهما ينمان عن شاعرية فذة، ومقدرة عظيمة على دقة الملاحظة، هذه الشاعرة هي:

22 - نزهون الغرناطية : (ت : 550 هـ ـ 1155م) [65] .

لا نغادر غرناطة الفيحاء قبل أن نقف عند شاعرة مرموقة، وأديبة مشهورة، موصوفة بخفة الروح، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع ما تتمتع به من جمال فائق، وقوام لائق، وحسن رائق، لها مع الشعراء والوزراء مساجلات فكهة، ومحاورات شيقة، فهي تمثل شاعرة المدنية الأندلسية، في القرن السادس الهجري، حيث نراها قد ألقت بنفسها في الحياة الأدبية بلا تحفظ، وغمست نفسها في المجون، غمسا كاملا، حتى لقبت بشاعرة غرناطة المجونية، بحيث لا تتورّع من مخالطة الرجال، ومطارحتهم كل جوانب الحياة الشريفة منها وغير الشريفة.

ولذلك نرى ابن سعيد يصفها بالشاعرة الماجنة، الكثيرة النوادر، ولعل ذلك المجون الذي جمع بينها وبين الشاعر أبي بكر المخزومي الأعمى، يوضح لنا أحسن توضيح مدى ما وصلت إليه الشاعرة، ومجتمعها الغرناطي، من التحلل الأخلاقي، والتفسخ، وقلة الحشمة والحياء.

فقد دعا الوزير أبو بكر بن سعيد الغرناطي جماعة من أهل الأدب والفن، إلى ندوة من ندواته، الكثيرة المألوفة، وحضر المجلسَ الشاعرةُ نزهون، والشاعرُ الأعمى المخزومي، فلما استوى بالشاعر المجلس، ووجد

نفسه بين روائح النند، والعود، والأزهار، وبين الموسيقى، والغناء، والأوتار، قال :

دار السّعيديّ ذي أم دار رضوان ... ما تشتهي النفس فيها حاضرٌ داني ؟
سقت أباريقها للند سحب ندىً ... تُحدى برعدٍ لأوتار وعيدان
والبرق من كل دنٍّ ساكبٌ مطراً ... يحيا به ميْتُ أفكار وأشجان
هذا النعيم الذي كنا نُحدثّه ... ولا سبيل له إلاّ بآذان

فلما سمعت نزهون المقطوعة التفتت إليه قائلة :

وتراك يا أستاذ قديم النعمة بمجمر ندٍّ وغناء وشراب، فتعجب من تأتيه وتشبهه بنعيم الجنة، وتقول : ما كان يعلم إلا بالسماع، ولا يبلغ إليه بالعيان؟ ولكن من يجيىء من حصن المدور ـ بلد المخزومي ـ وينشأ بين تيوس وبقر، من أين له معرفة بمجالس النعيم ؟ وإلى هنا، يتحرك المخزومي بعنف، ويتنحنح، ويشتم من صوته رائحة السخط والغضب، ويتساءل مستهزئا من هذه الفاضلة؟ فتجيبه نزهون : عجوز في مقام أمك، فقال ـ سريعا ـ كذبت ما هذا صوت عجوز وإنما هذه نغمة محترفة تشم روائح هنها على فرسخ ...

وهنا يحاول الوزير صاحب الدعوة، أن يتدارك الموقف، ويلطّف الجو، ويعيد الشاعرين إلى مقام الأدب واللياقة، ولكن بلا جدوى ـ فهذه ماكرة ماجنة، وهذا شاعر أعمى. فكيف يستطيع الوزير كبح الشاعرين، وإرجاع الشاردين إلى الجارة والصواب. فقال الوزير: هذه نزهون بنت القلاعين، الشاعرة الأديبة، فقال: سمعت بها لا أسمعها اللّه خيراً، ولا أراها الاّ أيراً.

فقالت له: يا شيخ سوء تناقضت، وأي خير للمرأة مثل ما ذكرت؟ ففكر ساعة ثم قال المخزومي :

على وجه نزهون من الحسن مسحةٌ وإن كان قد أمسى من الضوء عاريا (66)

قواصدُ نزهونٍ توارك غيرها ومن قصد البحر استقل السواقيا

قالت نزهون على الفور :

قل للوضيع مقالا يتلى إلى حين يحشر

من المدور أنشئت ت والخرا منه أعطر

حيث البداوة أمست في أهلها تتبختر

لذاك أمسيت صبا بكل شيء مُدوّر

خلقتَ أعمى ولكن تهيم في كُلّ أعور

جازيتُ هجواً بهجو فقل لعنت (67) من أشعر ؟

إن كنتُ في الخلق أنثى فإن شعري مذكّر

ويروي المقري أنها أجابته بأبيات أخرى هي :

إن كان ما قلت حقا من بعض عهد كريم

فصار ذكري ذميما يُعزى إلى كل لوم

وسرتُ أقبحَ شيء في صورة المخزومي

فقال لها اسمعي :

ألا قل لترهزنةٍ ما لها تجر من التيه أذيالها

ولو أبصرتْ بشة شمرّت كما عوّدتني سر بالها

وهنا نرى الوزير أبا بكر بن سعيد يتدخل بشدة، ويقسم أن لا يزيد أحدهما على الآخر بكلمة هجاء، ولكن المخزومي يحييه قائلا: أأكون هجاء الأندلس، وأكف عنها دون شيء ؟

فيشتري الوزير منه عرضها، ويسكت المخزومي، ويخبو النزاع، وتتحول هذه الخصومة إلى الود والمصاحبة، فقد أصبحت نزهون إحدى تلميذات المخزومي، تتلقى عليه الأدب، واللغة، وتحضر حلقات دروسه باستمرار (68).

تروي كتب الأدب أن الشاعر أبا بكر الكُتندي، دخل يوما على المخزومي، فوجد نزهون تدرس عليه، فأراد مداعبته بالشعر، ويقول له: إن تلميذته فتنة للناظرين، وأن نعمة البصر قد فوتت عليه هذه المتعة فقال أبو بكر الكتندي للمخزومي أجز :

لو كنت تبصر من تكلمه

فأفحم وأطال الفكر، فما وجد شيئا، فقالت نزهون : لغدوت أخرس من خلاله

البدر يطلع من أزرّته   والغصن يمرح في غلائله

تلك هي قصتها مع المخزومي التي انتهت بسلام. وتذكر كتب التاريخ الأدبي أن المخزومي كان حيا بعد الأربعين وخمسمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

أما قصتها مع الشاعر ابن قزمان، فهي لا تقل عن قصتها مع المخزومي فقد جاء ابن قزمان إلى غرناطة، واجتمع به جماعة من الأدباء، بينهم نزهون. وذلك بدعوة من الوزير أبي بكر بن سعيد، في منزله، فأنشد هم ابن قزمان بعض شعره الجميل، وكان يتوقع كلمة استحسان وتشجيع من الحاضرين، فإذا بالشاعرة نزهون تجابهه كعادتها بكل بذاءة ووقاحة، أحسنت يا بقرة بني إسرائيل، إلا أنك لا تسر الناظرين، فيجيبها ابن قزمان إن لم أسر الناظرين، فأنا أسر السامعين، وإنما يطلب سرور الناظرين

منك يا فاعلة، يا صانعة، ومن شدة غضبه، وفقدان السيطرة على توازنه، أسرع إلى بنت العنب يشربها بنهم، لعلها تنسيه ما سمع، فلما تمكن السكّر منه، قام متمايلا، فيسقط في بركة ماء كانت بالمجلس، فلم يخرج منها إلا وهو قد شرب كثيرا من الماء، وثيابه مبللة، فقال: اسمع يا وزير:

أيه أبا بكر ولا حول لي ... بدفع أغيان وأنذال

وذات فرج واسع دافق ... بالماء يحكي حال أذيالي

غرّقتني في الماء يا سيدي ... كفرّه بالتغريق في المال

فأمر الوزير بتجريد ثيابه، وخلع عليه ما يليق به، ومرَّ عليهم يوم بُعدَ عهدهم به من متعة، ونعيم، وشراب، وغناء، وترنيم، وهكذا نرى الوزير الغرناطي ابن سعيد يحمي الشاعرة مرتين، ويشتري عرضها بالإحسان إلى ما أساءت إليهم.

لأن الوزير على ما يبدو كان على صلة وطيدة بها، وأنه كان يهواها، ومغرما بشعرها، وله معها مراسلات معروفة، ومداعبات مشهورة، كتب إليها مرة:

يا من له ألفُ خلٍّ ... من عاشق وصديق

أزاكِ خليّتَ للنّا ... س منزلا في الطريق

فأجابته مطمئنة إياه، ومؤكدة له بأنه الحبيب المفضل، واستعملت التورية، بأن أهل السنة والجماعة يقدمون أبا بكر على غيره من الخلفاء، والصحابة الكرام، فكذلك هي تقدمه على غيره:

حللت أبا بكر محلا منعتهُ ... سواك وهل غيرُ الحبيب له صدري

وإن كان لي كمٌّ من حبيبٍ فإنما ... يقدم أهلُ الحق حُبَّ أبي بكر

وكانت نزهون معروفة بالفكاهة، والنكتة والسخرية اللاذعة، فقد قال لها بعض الثقلاء: ما على من أكل معك خمسمائة سوط؟ يريد أنه يرحب بكل أنواع العذاب ما دام في محبتها ولكن لم يحسن التعبير عن مراده، وخانته لغته، فأجابته في الحال بأسبوب فكاهة الشاعر، ومشاعر الأنثى:

وذي شقوة لما رآني رأى لــه   تمنّيه أن يصلى معي جاحمَ الضَّرب
فقلت لــه كلها هنيئا فإنّمــا   خُلقتُ إلى لبس المطارف والشَّرب

وننهي حديثنا عن نزهون بهذه الأبيات الجميلة التي قالتها تصف إحدى ليالي البيض بغرناطة، وما أكثرها بالأندلس عامة :

للّه دُرّ الليــالــــي مــا أُحيسنهــا   ومـا أُحسين منهـا ليلةُ الأحـد
لو كنتَ حاضرنا فيها وقـــد غفلـــت   عينُ الرقيب فلم تنظـر إلى أحـد
أبصرتَ شمسَ الضحى في ساعدي قمرٍ   بل ريمَ خازمةٍ في ساعدَيْ أســد

ونلاحظ أن معاني هذه المقطوعة تتفق مع مقطوعة أبي الحسن علي بن الزقاق ابن أخت ابن خفاجة (490 ـ 530) حيث تقول :

ومرتجــة الأرداف أمـــــا قوامُهـــا   فَلَدْنٌ وأما ردفــهـــا فـــــرداح (69)
ألّمت فبـــات الليلُ من قِصَرٍ بـهــا   يـطـيـر، ولا غـيـرُ الســرور جنـــاح
فــبـتُّ وقد زارتْ بأنـعـم لـيـلـــة   يعانقني حتى الصباحَ صبـــــاحُ
على عاتقي مِن ساعديها حمائـــلٌ   وفي خصرها من ساعديَّ وشاحُ (70)

العلياء البلنسية :

أديبة شاعرة من أهل القرن السادس الهجري، كانت مملوكة لرجل معروف بابن صاحب بلس، ذكرها القاضي ابن أبي جمرة. وقال أخبرني

أبو عبد الرحمن بن طاهر قال: حللتُ المرية عام اثنين وأربعين وخمسمائة، فخاطبتُ منها الحضرة برسالتي المشهورة. وأودعتها بيت شعرٍ مفردا نظّمته في وصف أمير المؤمنين أبي محمد عبد المؤمن بن علي، لم يمكني غيره وهو:

إمـامُ تناهت فيه كـلّ فضيلـة

فأصبح منها النّوع يفخر بالشّخص

فوفقت العلياء عليه فأضافت إليه:

تعاظم حتّى جلّ عن وصف واصفٍ

وأبـدى لنا ما في الأنام مِن النّقص

فطرتُ بها فرحا، وعجزت عن ابتياعها، إذ كانت قد بلغت ألف دينار مروية، فرغب إليّ سيدها في أن يعتقها، وأتزوجها، فهمت بذلك، فمنعني أبواي [72].

الشريفة أمة العزيز: [73]

هذه الشاعرة يذكرها الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه «المطرب من أشعار أهل المغرب» حيث يقول: أنشدتني أخت جدي الشريفة الفاضلة أمة العزيز ابنة عبد العزيز بن الحسن...لنفسها:

لـحاظكـم تـجـرحـنـا في الـحـشـا

ولحظنا يـجـر حـكـم في الـخـــدودْ

جُرْحُ بجُـرحٍ فاجعلوا ذا بـذا

فما الذي أوجب جرح الصدودْ؟

ويروى البيت الأول هكذا:

لحاظنا تـجـرحكـم في الحشـا

ولحظكـم يجرحـنـا في الخـدود

وهذا أنسب لأن الذي يحمر وجهه حياء وخجلا أكثر، هو النساء لا الرجال. ونرى المقري يعلق عل البيتين بقوله، هذا سؤال يحتاج إلى جواب، وقد رأيت القاضي الإمام الفاضل العقباني التلمساني يجيب على ذلك بقوله:

أوجـبـه مـنـي يـا سيدي   جرح بخد ليس فيه الجحود

وأنـت فيما قلتـه مـدع   فأين ماقلت وأين الشهود؟

الشلبية : (74)

وفي هذا القرن السادس الهجري، نجد شاعرات يرفعن أصواتهن في وجه الظلم والظالمين، ومنهن هذه الشاعرة التي يوردها ابن الأبار، ويذكر أنه لم يعثر على اسمها. وإنّما عرف أنها من مدينة شلب، بغرب الأندلس، التابعة للبرتغال اليوم فسماها الشلبية، نسبة إلى مدينتها، ويقول: إنه وجد لها شعرا تشكو فيه ظلم الحكام، وجور ولاة بلدها، وصاحب خراجه، وتُكلّف من يُلقي بالصحيفة التي كتبت فيها شعرها، في الطريق عند خروج السلطان الموحدي، يعقوب المنصور، إلى أداء

صلاة الجمعة، فتنجح الحيلة، وتقع عين السلطان على الصحيفة الملقاة على الأرض، فيرفعها ويقرأ ما فيها، ثم يبحث عن القضية، ويجري تحقيقا في الأمر، ويرفع الظلم على الشاعرة الشاكية، بل ويجيزها ويصلها ويعاقب المعتدي ويجعله عبرة لمن يعتبر.

والأبيات التي كتبتها الشلبية الشاعرة في الصحيفة هي:

قد آن أن تبكي العيون الأبية ... ولقد أرى أنّ الحجارة باكية

يا قاصد المصر الذي يرجى به ... إن قدّر الرحمن رفع كراهية

ناد الأمير إذا وقفت ببابه ... يا راعيا إن الرعية فانية

أرسلتها هملا ولا مرعى لها ... وتركتها نهبَ السباع العادية

شلبٌ كلا شلب وكانت جنة ... فأعادها الطاغون نارا حامية

خانوا وماخافوا عقوبة ربّهم ... والله لا تخفى عليه خافية

ومن هذا النمط نجد شاعرة إشبيلية، تشكو الطغاة، وترجو رفع ما وقع لأموالها من مصادرة واعتقال هذه الشاعرة هي :

أسماء العامرية: (75)

كتبت هذه الشاعرة رسالة طويلة تشرح فيها ما آل إليه أمرها، وأمر غيرها من الشعب بسبب جور وعدوان الحكام والولاة، وفي آخر الرسالة قصيدة في نفس الموضوع. والرسالة موجهة إلى السلطان الموحدي، عبد المؤمن بن علي أول خليفة للموحدين: جاء في القصيدة مايلي:

عرفنا النصر والفتح المبينا ... لسيدنا أمير المؤمنينا

إذا كان الحديث عن المعالي رأيت حديثكم فينا شجونا

رويتم علمه فعلمتموه وصنتم عهده فغدا مصونا [76]

وشكوى النساء، ورفع ظلا متهن لدى الحكام معروف، في الأندلس، كما أن اطلاعهن على الأحكام الشرعية، وذكاءهن في القضاء مشهور، فهذه امرأة قاضي لوشة [77] فاقت العلماء في معرفة الأحكام، والنوازل، وكانت تجلس وراء الستار، وتسمع المتخاصمين، فإذا أشكل الأمر على القاضي الزوج، خرج من المجلس إليها يستشيرها، ويستنير برأيها، فكانت هي القاضية عمليا، وكان زوجها القاضي ظاهرا. فكتب إليه بعض الأصحاب مداعبا:

بلوشة قاض له زوجة وأحكامها في الورى ماضية

فيا ليته لم يكن قاضيا ويا ليتها كانت القاضية

فلما قرأ القاضي البيتين سلمهما لزوجته فقالت ناولني القلم فكتبت بديهة:

هو شيخ سوء مزدرى له شيوب عاصية

كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية

ويقول المقري معلقا على هذه الطرفة: إنه سمع بعض أشياخه يحكي القضية عن لسان الدين بن الخطيب، وأنه هو الذي كتب يداعب زوج المرأة، فكتبت إليه:

إن الامام ابن الخطيب له شيوب عاصية

كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية [78]

قسمونة اليهودية: [79]

في الأندلس الإسلامية كانت تعيش إلى جانبالمساجد والجوامع، كنائس وبيع، الكل ينعم بالحرية الدينية والفكرية، والجميع يتمتع بالعدالة، والاطمئنان على النفس، والمال، والمعتقد، فالمجال فسيح لكل الأديان، وحرية العقيدة والتفكير يتمتع بها الجميع، والتسامح الإسلامي يشمل الخاص والعام، ويحفظ لكل السكان ـ سكان الأندلس ـ كرامتهم وحقوقهم، من غير تفريق في الدين، أو تمييز في العنصر، أو الجنس، أو اللون.

ولقد كانت غرناطة مكتظة باليهود، حتي سميت غرناطة اليهود، فظهر من بين اليهود كُتّاب وشعراء، واعتلى منهم المناصب العليا في الدولة، حُجّاب ووزراء، منهم هذه الشاعرة المرموقة «قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، من أهل القرن السادس على ما يرى صاحب النزهة.

وكانت شاعرة مشهورة لها شعر رقيق، وموشحات لطيفة، وكان أبوها بدوره شاعرا. وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هي بقسم آخر، وقد اعتنى إسماعيل بابنته فأدّبها وهذّبها. قال لها يوما مختبرا ـ أجيزي:

لي صاحب ذو بهجة قد قابلتْ نُعمى بظُلم [80] واستحلت جُرمها

ففكرت غير كثير وقالت:

كالشمس منها البدر يقبس نُوره أبدا ويكسف بعد ذلك جُرمَها

فقام أبوها كالمختبل، فرحا، و قبّل رأسها إكبارا، وضمّها إليه، وهو يقول إعجابا: أنت والعشر كلمات أشعر مني!

يريد بذلك القسم بالوصايا العشر الموجودة في التوراة، والتي يؤمن بها اليهود، ويقسمون بها.

ونرى قسمونة حزينة باكية، متألمة، مما تقاسيه من الوحدة والفراغ، وانعدام القرين، مع جمال القوام، وزهرة الشباب، فقد نظرت في المرآة فرأت جمالها الفتان، وقسمات وجهها الذي يزداد بهاء وحسنا، كلما زدَت فيه إمعانا وإبصارا، فقد بلغت سنّ الزواج ولم تتزوج، فقالت متنهدة متألمة، إذ لم يتقدم إليها من يقتطف منها الثمر، ويجني منها الورود والأزهار.

أرى روضةً قد حان منها قطافها ولست أرى جان يمد لها يدا

فوا أسفا يمضي الشبابُ مضيَّعا ويبقى الذي ما إن أسميه مفردا

فسمعها أبوها، وانتبه لحالها فنظر في تزويجها، وسعى في تلبية أنوثتها.

وكان لقسمونة ظبية تعيش معها في بيتها، وتؤنسها في وحشتها، وتبثت إليها بشكواها، ومكنون قلبها، فقالت تخاطبها، وتسلي نفسها بها، إذ هي ليست الوحيدة في وحشتها وانفرادها، وأن ذلك من تصاريف القدر، ولا راد لقضاء اللّه وقدره:

يا ظبيةً ترعى بروضٍ دائما إني حكيتك في التوحُّش والحور

أمسى كلانا مفردا عن صاحب فلنصطبر أبدا على حكم القدر

ويروي البيت الأخير السيوطي في كتابه «النزهة» هكذا:

أمسى كلانا مفردا عن صاحب فعتابنا أبدا على حكم القدر

ورواية نفح الطيب أنسب، والصبر في هذا المقام أليق، فلا عتاب على

الله، وعلى المصاب أن يرضى بما قضى اللّه وقدر، وبقدر الصبر على البلاء يكون الثواب والجزاء.

أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي:[81]

هذه الأديبة الشاعرة والمقرئة المجيدة من أهل لوشة التابعة لغرناطة، وصفها ابن الخطيب في إكليله بأنها ثالثة حمدة وولادة، وفاضلة الأدب والمجادة، تقلدت المحاسن قبل الولادة، وأولدت أبكار الأفكار قبل سن الولادة. نشأت في حجر أبيها، لايدخر عنها ولاسهما، حتى نهض إدراكها، وظهر في المعرفة حراكها. ودرسها الطب ففهمت أغراضه وعلمت أسبابه وأعراضه.

ولما قدم أبوها من المغرب، وحدث بخبرها المغرب، توجه بعض الصدور إلى اختبارها ومطالعة أخبارها، فاستنبل أغراضها واستحسنها، واستظرف لسنها، وسألها عن الخط وهو أكسد بضاعة جلبت وأشح درة حلبت، فأنشدته من نظمها:

الخط ليس له في العلم فائدة ... وإنما هو تزيين بقرطاس

والدرس سؤلي لا أبغي به بدلا ... بقدر علم الفتى يسمو على الناس

وقالت تمدح شخصا اسمه رضوان، تصفه بوحيد زمانه، فضلا، ومجدا، ومعدنا طيبا. قلما يجود الزمان بمثله:

إن قيل من الناس رب فضيلة ... حاز العلا والمجد منه أصيل

فأقول: رضوان وحيد زمان ... إن الزمان بمثله لبخيل

حفصة بنت الحاج الركونية: (82)

شاعرة غرناطة في زمانها، كولادة في قرطبة في أوانها، غير أن حفصة الركونية أشعر، ومادتها أغزر، وجرأتها في الهجوم على معاني الغزل والإثارة أكثر، فإذا كانت ولاّدة قد ارتبطت بالوزير الشاعر ابن زيدون، فإن حفصة بدورها ارتبطت بالوزير الشاعر أبي جعفر أحمد بن سعيد وزير عبد المؤمن الموحدي.

فإذا كان أبو الوليد ابن زيدون قد اصطدم بمنافس خطير هو الوزير ابن عبدوس، في حبه لولادة، فإن ابن سعيد قد لقي منافسا أشد، هو أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن علي في حبه لحفصة، فهذا المنافس أقوى سلطة، وأقرب رحما للموحدين، إذ هو منهم وإليهم، ولذلك كانت نهاية ابن زيدون السجن، ونهاية ابن سعيد الموت والتنكيل.

لقد اتفق كل الذين ترجموا لحفصة بأنها معروفة بالظرف، والأدب والجمال، والحسب والشعر، رقيقة النظم، سريعة البديهة، جيدة الذاكرة، أستاذة ناجحة، فقد تولّت تعليم النساء في دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الموحدي، مما سمح لها بالاجتماع مع أمير المؤمنين في داره لعدة مرات، فقد قالت له يوما: مرتجلة:

يا سيد الناس يا من　　　يؤمُّ الناس رفده
أُمْنُن عليّ بطرس　　　يكون للدهر (83) عدة
تخط يمناك فيه　　　الحمد لله وحده

وأشارت بالشطر الأخير إلى العلامة السلطانية عند الموحدين، فإنها

تكتب بخط غليظ، وبيد السلطان، على رأس مناشير الدولة «الحمد للّه وحده» .

وكانت حفصة تجمع بين الجمال الطبيعي والجمال الأدبي، وتصرح بذلك بلا التواء ولا استحياء، بل وتفخر وتتباهى:

ثنائي على تلك الثنايا لأنني أقول على علم وأنطق عن خُبر
وأنصفها لا أكذب اللّه إنني رشفت بها ريقا ألذ [84] من الخمر

وقد تهافت الملوك والأمراء على الاجتماع بها، كما تسابق الوزراء والشعراء على اكتساب رضاها، والاعتراف بأدبها والحضور في مجلسها.

كتب إليها أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد الوزير الغرناطي، يرجو ملاقاتها، فما طلته قرابة شهرين، وكاد ييأس، ثم أعاد الكتابة إليها من جديد بهذه الأبيات:

يا من أجانب ذكر اسـ مه وحسبي علامه
ما إن أرى الوعدَ يُقضى والعمرُ أخشى انصرامه
اليوم أرجوك لا أن تكون لي في القيامه
لو قد بصرتِ بحالي والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقا ووجدا [85] إذ تستريح الحمامة
صَبّ أطال هواه على الحبيب غرامه
إن لم تنيلي أريحي فاليأس يثني زمانه

فأجابته في الحال على نفس الروية والوزن:

يـا مـدعـي في هـوى الحسـ ن والـغــرام الإمـامــه
أتــى قـريـضــك لـكــن لـم أرض مـنـه نـظـامـه
أمـدعـي الـحــب يَثـنـي يـأسُ الـحـبـيـب زمامه؟
ضـلـلـت كــل ضــلال ولـم تُـفـدك الـزعـامـة
مـا زلـت تصحب مذكنـ ت في بـاق الـسـلامــه
حـتـى عـثـرتَ وأخـجـلـ ت بـافـتـضـاح الـسـأمـة
بالله في كــل وقــت يُبدي السحاب انسجامه
والـزهــر في كــل حـيـن يـشــق عـنـه كـمـامــه
لـو كـنـت تـعـرف عـذري كـففـتَ غَـرْب الـمـلامه

ووجهت إليه الأبيات مع الرسول الذي حمل إليها الرسالة، بعدما لعنته بلسانها وسبته بكلابها، قائلة له: لعن الله المرسل، فما في جميعكما خير، ولا لي برؤيتكما حاجة، وانصرف الرسول على غاية من الخزي والبخس، ولما أطل على أبي جعفر، وهو على أحر من الجمر، لانتظار الجواب، قال له: مـا وراء ياعصام؟ قال ما يكون وراء من وجهه خلف إلى فاعلة، تاركة، اقرأ الأبيات تعلم الجواب، فلما قرأ أبو جعفر المقطوعة، طار فرحا، وقال للرسول: ما أسخف عقلك وأجهلك إنها وعدتني للقُبّة التي في جنتي المعروفة بالكمامة، سر بنا فبادرا إلى المكان المعين، فما لبثا إلا قليلا، حتى أقبلت، وأراد عتابها فـأنـشـدت:

دعي عدّ الذنوب إذا التقينا تعالـي لا نُـعـدّ ولا تُعَدي

وجلسا على أحسن حالة، وبينما هما في الحوار والمداعبة، إذا بأبيات الشاعر الكتندي تصل إلى يد أبي جعفر، وفيها:

أبا جعفر يا ابن الكرام الأماجد ... خلوت بمن تهواه رغما لحاسد
فهل لك في خلّ قنوع مهذّب ... كتوم عليم باختفاء المراصد
يبيت إذا يخلو المحب بحبه ... مُمَتَّعَ لذاتٍ بخمس ولائد

فلما قرأ أبو جعفر المقطوعة، عرضها على حفصة، فقالت: لعنه اللّه، سمعنا بالوارش على الطعام، والواغل على الشراب، ولم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين، فيروم الدخول عليهما، فقال باللّه سميه لنكتب له بذلك، فقالت أسميه الحائل، لأنه يحول بيني وبينك، إن وقعت عيني عليه، فكتب له في ظهر رقعته:

يا من إذا ما أتاني ... وضعته [86] نصب عيني
تراك ترضى جلوسا ... بين الحبيب وبيني؟
إن كان ذاك فماذا ... تبغي سوى قُرب حَيْني
والأن قد حصلت لي ... بعد المطال بدين
فإن أتيتَ فدفعا ... منها بكلتا اليدين
أو ليس تبغي وحاشا ... ك أن تُرى طَيْر بيْنِ
وفي مبيتك بالخمـ ... ـس كل قبح وشين
فليس حقك إلا الـ ... ـخلّو بالقمرين

وكتب له ماقالته حفصة على ذلك بقوله:

سماك من أهواه حائل ... إن كنتَ بعد العتب واصل
مع أنّ لونك مزعج ... لو كنت تحْبس بالسلاسل

فلما رجع إليه الرسول وجده قد سقط في مطمورة نجاسة، ولايكاد يعرف شخصه، وصار هتكة ومسخرة للناظرين، فلما قرأ الأبيات، قال للرسول: اعلمهما بحالي، فرجع الرسول وأخبرهما بذلك، فكاد يغشى عليهما من الضحك، وكتبا إليه مقطوعة مشتركة بيتا فبيتا، فقال أبو جعفر:

قل للذي خلّصنا ... منه الوقوع في الخرا
ارجع كما شاء الخرا ... يا ابن الخرا إلى الورا [87]
وإن تعد يوما إلى ... وصالنا سوف ترى
يا أسقط الناس ويا ... أنذلهم بلا مرا
هذا مدى الدهر تلا ... قي لو أتيت في الكرى
يا لحية تشغف في الـ ... خرء وتنشا العنبرا
لاقرب اللّه اجتما ... عا بك حتى تقبرا

ثم توالت بعد هذا اللقاء لقاءات، فيها أدب غضّ، وغناء وطرب، واتفق أن بات معها أبو جعفر في بستان له بحوز مؤمل، بضواحي غرناطة، على ما يبيت الروض والنّسيم، من طيب النفحة، ونضارة النعيم، فلما حان الانفصال، وأذن الظلام بالانقشاع، والارتحال، قال أبو جعفر واصفا تلك الليلة البيضاء:

رعى اللّه ليلا لم يَرُعْ [88] بمذمم ... عشية وارانا بحوز مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريحةُ ... إذا نفحت هبّت بريًا القرنفل
وغرد قُمريّ على الدوح وانثنى ... قضيب من الريحان من فوق جدول
ترى الروض مسرورا بما قد بدا له ... عِناقُ وضمٌّ وارتشاف مُقبَّل

فلما قرأت حفصة الأبيات، أجابته بشعر أرق من النسيم:

لعمرك ما سرّ الرياض بوصلنا ولكنه أبدى لنا الغلّ والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا ولا غرّد القُمري إلا بما[89] وجد
فلا تحسن الظنّ الذي أنت أهله فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الأفق أبدي نجومه لأمر سوى كيما تكون لنا رصد

حُقّ لأبي جعفر أن يعجب بحفصة التي تقول هذا الشعر الرقيق، وتفهم من الطبيعة ما يجعلها تقرأ ألف حساب، لكل ما يدور حولها، وتعلل الأشياء والظواهر الطبيعية بما يليق أن يدركه كلُّ لبيب.

ونراه من شدة الإعجاب بها يقسم أنه ما رأى ولاسمع بمثلها فقال: «ومن بعض ما أجعله دليل على تصديق عزمي وبرّ قسمي: أني كنت يوما في منزلي مع من يحب أن يخلى معه من الأجواد الكرام على راحة، سمحت بها غفلات الأيام، فلم نشعر إلا بالباب يضرب، فخرجت جارية تنطر من الضارب، فوجدت امرأة فقالت لها: ما تريدين؟

فقالت: ادفعي لسيدك هذه الرقعة، فجاءت برقعة فيها:

زائر قد أتى يجيد الغزال مُطلعُ تحت جُنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت ورُضابٍ يفوق بنتَ الدّوالي
يفضع الورد ما حوى منه خد وكذا الثغر فاضحُ للآلي
ما ترى في دخوله بعد إذن أو تراه لعارضٍ في انفصال

قال أبو جعفر، فلما علمتُ أنها حفصة، قمتُ مبادرًا للباب، وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه، والغرام به، وتفضُّله بالزيارة دون طلب، في وقت الرغبة إلى الأنس به.

ويذكر ابن الخطيب أن حفصة مرت على باب أبي جعفر مستترة، وأعطت البواب بطاقة مكتوب فيها:

زائـر قـد أتـى يجيـد غـزال　　طـامـع من محبه بالوصـال

أتـراكـم بإذنكـم مسعفيـه　　أم لكم شاغل من الأشغال

فلما وصلت الرقعة إلى أبي جعفر قال وربِّ الكعبة من صاحب هذه الرقعة إلا الرقيعة [90] حفصة، ثم طلبتْ فلم توجد، فكتب إليها أبو جعفر راغبا في الوصال.

أي شـغـل عـن الحبيـب يعـوق　　يا صباحا قد آن منه الشـروق

صل وواصل فأنت أشهى إلينا　　من لذيذ المنى، فكم ذا نشوق

لا وحبيك [91] لا يطيب صبوح　　غبـت مـنـه ولا يطيـب غبـوق

لا وذُلُّ الهـوى وعِزُّ التـلاقـي　　واجتمـاع إليـه عـزّ الطـريق

ونرى هذه الزيارات تتوالى وتتكرر، مرة من الشاعرة، وأخرى من الوزير، حتى إذا طال البعاد، واشتد الحنين إلى التلاقي، كتبت إليه:

أزورك أم تـزور فـإنّ قـلبـي　　إلى مـا تشتهـي أبـدا يـمـيـل

فـثـغـري مـوردُ عـذبُ زَلال　　وفـرعُ ذؤابتي ظِـلٌ ظليـل

وقـد أمّلتُ أن تظمـا وتضحـى　　إذا وفـى إلـيـك بِـيَ المثيل

فعجّل بالجواب فـمـا جـمـيـل　　إبَـاؤك عـن بثبنـة يـا جـمـيل

فأجابها أبو جعفر:

أُجـلّكـم مـا دام بـي نـهـضـة　　عن أن تزوروا إن وجدت السبيل

مـا الـروض زُوّارًا ولـكـنـمـا　　يـزوره هـبُّ النسـيـم العليـل

وقال معللا بأن الروض يزار ولا يزور، ويأتيها النسيم العليل، لا تأتي الرياض النسيم.

زارها مَنْ غَدَا سقيم هواهـا ويـراه شوقا إليهـا النـحـول

وكذا الروض لا يزور ويأتـي أبدا نـحـوه االنسيم العليـل

وتـذكـرني هـذه المحاورة الأدبيـة الجميـلـة الموحيـة، بـأبيات للشاعرة البغدادية سلمى بنت القراطيسي المشهورة بالجمال الفتان، مع العفة والتصون.

عيون مها الصريم فداء عيني وأجياد الضباء فداء جيـدي

أزيـن بالعقـود وإنّ نـحـــري لأزين للعقـود مـن العـقـــود

ولـو جاورتَ في بلد ثـمـــودا لما نزل العذاب على ثـمـــود

ولاأشكو من الأرداف ثـقلا وتشكـو قامتي ثقل النُّهـــود

ويقال إن الخليفة العباسي المقتفي، لما بلغته هذه المقطوعة الرائعة، سحره بيانها وقال لجلسائه: اسألوا عن عفافها وطهرها، فقالوا له: هي أعف الناس، فأرسل الخليفة إليها مالا جزيلا، وعطاء عظيما، وقال: تستعين به على صيانة جمالها، ورونق بهجتها، وكمال أدبها، والاستمرار على كرامتها وعفتها.

ونرى حفصة تبعث بشعرها إلى الحبيب إذا لم تستطع أن تكون هي الزائرة، فهي مثل الروضة تبعث إلى النفوس بروائحها المنعشة.

سـار شـعـري لك عني زائرا فأعر سـمـع المعـالي شـنـفـه

وكـذا الروض إذا لم يستطع زورة أرســل عـنـــه عُـــرْفـه

ويجيبها:

قد أتانا منك شعر مثلما أطلع الأفق لنا أنجمه
وفم فاه به قد أقسمتْ شفتـــي بالله أن تلثمه

ـ حفصة الغيورة:

ونرى الشاعرة تغار من كل أنثى تقترب من الوزير، فهي لا تريد أن يشاركها فيه أحد، فقد بلغها أن أبا جعفر قد علق بجارية سوداء، وصلت إليه من بعض القصور، فاعتكف معها أياما وليالي بظاهر غرناطة، في ظل ممدود، وطيب هوى مقصود، وماء زلال مسكوب، فكتبت إليه تعاتبه:

يا أظرف الناس قبل حالٍ أوقعه نحـــوه القـــدر
عشقت سوداء مثلَ ليلٍ بدائع الحسن قد ستـــر
لا يظهر البشر في دجاها كـــلا، ولا يبصر الخفر
بالله قل لي وأنت أدرى بكل من هام في الصور
من الذي هام في جنان لا نـوّارُ فيـــه ولا زهر؟

فأجابها بأظرف اعتذار وألطف أنوار:

لا حكم إلا لأمرٍ نـــاه لـه مـن ذنبه معتـــذر
لــه محيا بــه حياتـــي أعيـد مداه بالســـور
كصحبة الغيد في ابتهاج وطلعة الشمس والقمر
سعده لم أمل إليـــه إلا أطـــرافاً لـــه خبـــر
عدمت صبحي فاسود عشـ ـقي وانعكس الفكر والنظر
إن لم تلح يا نعيم رُو حي فكيف لا تفسد الفِكر

والشاعرة صادقة في حبها للوزير ابن سعيد غير متكلفة فيما تقول فيه من شعر، فهي تراه أهلا لحبها، والإعجاب به، لترفعه عن الدنايا وعلو همته، واكتمال أدبه.

رأست فما زال العداة بظلمهم — وعلمهم النامي يقولـون مـا رأس
وهل منكرٌ أن ساد أهل زمانه — جموحٌ إلى العليا حرونٌ عن الدنس

حقا إن ابن سعيد يستحق عن جدارة أن يتبوأ المرتبة العليا في الوزارة والأدب، يقول فيه صاحب «المغرب في حلى المغرب» أبو جعفر، لا أعلم في بني سعيد أشعر منه، بل لا أعلم في بلده من هو في درجته، وعشق حفصة، شاعرة الأندلس، وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام.

وكانت حفصة الشاعرة الفاتنة بجمالها وأدبها، السبب في نعيم الوزير، ثم في سجنه وتعذيبه واغتياله. فقد كان عثمان بن عبد المؤمن الموحدي ملك غرناطة، قد ولاّه وزارته لعلمه، وأدبه، وكان الموحدي يهوى حفصة، ويحرص على الاختصاص بها، وكان أسود اللون، فبلغه أن أبا جعفر قال لها: ما تحبين في ذلك الأسود، وأنا أقدر أن أشتري لك من سوق العبيد بعشرين دينارا خيرا منه؟ فأسرَّها الموحدي في نفسه، فعزله أسوء عزل، ثم قتله صبرا بمدينة مالقة (92).

ولما بلغ الشاعرة خبر مقتل الوزير أبي جعفر حزنت عليه، ولبست الحداد من أجله، وجهرت بذلك فَتَوعدت بالقتل فقالت:

هدّدوني من أجل لبس الحداد — لحبيب أردوه لـي بالحـداد
رحم اللّه من يجـود بـدمـع — أو ينوح على قتيـل الأعـادي
وسقتـه بمثـل جود يديه — حيث أضحى من البلاد الغوادي (93)

وفعلا لم ينتفع بها ملك غرناطة، إذ لحقت بالوزير المقتول بعد قليل، وذلك في أواخر عام 581 بمراكش. فقد اشتد حزنها على الوزير، واشتهر عنها ذلك، ورثته بشعر فيه الصدق والوفاء، والحب والصفاء.

ولو لم يكن نجما لما كان ناظـري — وقد غبت عنه مظلما بعد نـوره
سلامٌ على تلك المحاسن من شجٍ — تناءت بنعماه وطيب سـرورهِ

وقالت:

سلوا البرقَ الخفّاقَ والليلُ ساكـن — أظـلَّ بأحبابي يذكّرني وهـنـا
لعمري لقد أهدى لقلبـي خفقـه — وأمطرني (94) منهلّ عارضه الجفنا

وقالت:

سـلامٌ يفتحُ من زهـره الـــ — حكام وينطـق ورق الغـصـون
على نـازح قـد ثـوى في الحشا — وإن كانت تُحرمُ منه الجفـون
فـلا تـحـسـبـوا البُعد ينسيكـم — فـذلـك والله مـا لا يـكـون

ولحفصة علاقة مودة وصداقة بشقيقة الوزير أبي بكر بن يحي الهمداني، من أعيان غرناطة، سألتها مرة أن تكتب لها شيئا بخطها. فأخذت قلما وكتبت:

ياربة الحسن بل يـا ربـة الـكـرم — غضّي جفونك عما خطّه قلمي
تصفحيه بلحـظ الـود مـنـعـمـة — لا تحفلي برديء الخط والكلـم

كما أن علاقتها مع العائلة المالكة وطيدة، فيها الاحترام والتقدير، وكيف لا تكون كذلك، وهي أستادة لبنات العائلة، والموجّهة لأمهات الأمراء والحكام، فالكل يعرفها، ويدرك مكانة علمها، وأدبها، وهي تختار

المناسبات والأعياد لتقدم تهانيها. فقد كتبت إلى ابن سعيد الموحدي تُهنئة بحلول العيد السعيد:

يـا ذا العـلا وابـن الخليـفـة والإمـــام المرتـضـــى
يهنيك عـيـد قـد جـــرى فيه بما تهـــوى القـضـــا
وأتـــاك من تـــهـــــواه في قيد الإنابة والرضـــى [95]
ليـعـيــد مـــن لـذاتــــــه مـا قـد تـصـرم وانقضى

ونختم الحديث عن حفصة الركونية الشاعرة الغزلية الوفية، الصادقة العاطفة، الغزيرة الإنتاج، بهذين البيتين اللذين يعبران أحسن تعبير عن الجرأة والغيرة والحب الصادق:

أغار عليكَ من عيني رقيبي ومنكَ ومن زمانك والمكان
ولو أني وضعتك في عيوني إلى يوم القيامة ماكفانـــي

تلك هي الشاعرة الغرناطية، العالمة الأديبة، كما يصورها لنا ما وصل إلينا من شعرها، وأخبارها. ويها ننهي الحديث عن شاعرات من الأندلس الحبيبة، وأرجو أن يكون القارئ قد عاش لحظات ممتعة من خلال تلك الشاعرات الخالدات. وقبل الختام نذكر شاعرة مغرمة برسول اللّه ﷺ وهي:

أم السعد بنت عصام الحميري: [96]

من النساء المشهورات بالأندلس، أم السعد بنت عصام الحميري، وتعرف بسعدونة القرطبية، لها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما في القرن اسلابع الهجري وأواخر القرن السادس، كانت تعيش بقرطبة، ثم انتقلت إلى مالقة. حيث توفيت سنة أربعين وستمائة (640 هـ) أو نحوها.

أنشدت لنفسها في تمثال نعل النبي صلى اللّه عليه وسلم تكملة لقول غيرها. [97] .

سألثم التمثال إذ لم أجد   للثم نعل المصطفى من سبيل
لعلني أحظى بتقبيله   في جنة الفردوس أسنى مقيل
في ظل طوبي ساكنا آمنا   أسقى بأكواس من سلسبيل
وأمسح القلب به علّه   يسكن ماجاش به من غليل
فطالما أستشفي بأطلال من   يهواه أهل الحب في كل جيل

قال المقري في نفحه: وأنشدني ابن جابر الوادي آشي عن شيخه المحدث أبي محمد ابن هارون القرطبي لجدته سعدونة، وأظنها هذه:

آخ الرجال من الأبا   عد والأقارب لا تقارب
إن الأقارب كالعقا   رب أو أشد من العقارب [98]

هكذا نقله الخطيب ابن مرزوق، قال المقري: رأيت نسبة البيتنين لابن العميد.

عدت إلى اليتيمة لأبي منصور الثعالبي، فوجدت ماقاله المقري صحيحا .[99] ونحن نعلم بأن ابن العميد محمد الحسين أبا الفضل قد عاش في القرن الرابع (ت: 360 هـ ـ 970 م)، وسعدونة القرطبية جاءت بعده بقرنين وزيادة ، إذ توفيت في أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري، وأبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النسابوري، قد توفي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة (429هـ)، وبناء على ماتقدم فالإنصاف في هذا المجال واجب ، والتعصب للبلد أو

الشخص لا يرتضيه البحث العلمي ولايقره العقل السليم والفكر المستقيم.

الجزائر في 21 محرم 1422 هـ ـ 15 أفريل 2001

ـ الدكتور محمد الشريف بن محمد الطيب قاهر

الهوامش :

(1) ـ انظر الحديث عنها في :

أ ـ الأغاني .م 21 ـ ق 3 .ص 231ـ132. (1 ـ21) واحد وعشرون مجلدا لأبي الفرج الإصبهاني علي بن الحسين (ت : 969هـ ـ 356 م) منشورات دار مكتبة الحياة دار الفكر ـ بيروت.

ب ـ نفح الطيب للمقري: تحقيق: د/ إحسان عباس.3: 141 ـ 142 ترجمة: 77.

جـ ـ نفح الطيب .تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. 4: 137 ـ 139 .

(2) في الأغاني: فرج: بدل تفريج

(3) هذا البيت ساقط في النفح وارد في الأغاني.

(4) الأبيات لأبي صخر الهذلي، واسمه عبد اللّه بن مسلمة السهمي، من بني هذيل بن مدركة، من شعراء الدولة الأموية، كان مواليا لبني مروان متعصبا لهم، مدح عبد الملك بن مروان وأخاه عبد العزيز، وعبد العزيز بن خالد بن أسيد، حبسه عبد اللّه بن الزبير سنة ثم أطلقه بشفاعة رجال من قريش.

انظر: أ ـ الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني، م 21 ـ ق 3, ص 221 ـ 222.

ب ـ الأعلام لخير الدين الزركلي، 4 : 223 ـ224.

(5) ـ أنظر ترجمتها : أ ـ نفح الطيب للمقري، تحقيق: د/ إحسان عباس، جـ 4، ص/ 167 - 168 ترجمة: 2.

ب ـ أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 1 : 256 - 157 .

جـ ـ الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة، 121 - 126 .

(6) ـ شحط المكان يشحط بفتح الحاء : بعد.

(7) ـ الفِرصاد : اسم يطلق على صبغ أحمر، والمراد هنا دم الأعداد.

(8) ـ جود الشيء : أحاده، يقال تجاودوا في المحاورة أي نظروا أيهم أجود حجة.

(9) ـ أنظر الحديث عنها في:

أ ـ نفح الطيب للمقري.3: 140 ـ141 ـ ترجمة: 76 تحقيق: د / إحسان عباس

ب ـ نفح الطيب للمقري .4: 137 تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

جـ ـ الأدب الأندلسي. موضوعاته وفنونه، ص 130 ـ 132 للدكتور: مصطفى الشكعة.

(10) ـ ترجمتها في :

أ ـ جذة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس 412 ـ 413 ترجمة: 986.

ب ـ بغية الملتمس، للضبي: 443 ـ 445 ترجمة: 1587 .

جـ ـ كتاب الصلة لابن بشكوال: 2 / 694 ـ 695 ترجمة: 1537 .

د ـ نفح الطيب للمقري: تحقيق د/ إحسان عباس؛ 4 / 29 ترجمة: 18 .

هـ ـ نفح الطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد: 6 / 27.

و ـ نزهة الجلساء في شعر النساء، لجلال الدين السيوطي، 90ـ 92 .

ز ـ أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 5 / 47 ـ 48.

ح ـ الأدب الأندلس مصطفى الشكعة، 167 ـ 169 .

(11) ـ في البغية والجذوة ، والصلة، يافردة بدل يا فذة.

(12) ويروي هذا البيت في الجذوة، والنزهة، والبغية، هكذا: أشبهت في الشعر من غارت بدائعه، عوض أشبهت مروان. ولعل المراد بمروان الوارد في النفح، هو مروان بن عبد الرحمن الأموي الشهير بالطليق، إذ سجن إثر قتله لأبيه، بسبب جارية كان يهواها فوجدها عنده والده فهجم عليه وقتله، وكان مروان مقدما في الشعر، كابن المعتز في بني العباس، ملاحة شعر وحسن تشبيه.

(13) أنظر ترجمتها في :

1 ـ جذوة المقتبس، في ذكر ولادة الأندلس لأبي عبد اللّه محمد الحميدي، ص 3/ 413. ترجمة: 987.

2 ـ بغية المتلمس في تاريخ رجال الأندلس، لأحمد بن يحي الضبي ص / 527 ترجمة / 1583. طبعة مجربط 1884.

3 ـ بغية الملتمس: 443 ترجمة: 1586, دار الكتاب العربي، 1967.

4 ـ المغرب في حلي المغرب، لابن سعيد، جـ 2, ص / 192. ترجمة: 447.

5 ـ نفح الطيب للمقري، جـ 4, ص / 170. ترجمة: 6 .

(14) في البغية: ستظغن بدل سترحل

(15) في حلى المغرب، ورد هذا البيت هكذا:

فما بعدُ إلا الموتُ عند رَحيلهم * * * وإلا فصبْرٌ مثل صبر وأحزانُ

(16) في حلى المغرب:فينان بدل ريان

(17) في حلى المغرب: فياليت بدل ألا ليت.

(18) ـ أنظر ترجمتها في:

1ـ جدوة المقتبس للحميدي، ص / 412. ترجمة 985 .

2 ـ بغية الملتمس، للضبي، ص : 443 ترجمة: 1586 دار الكتاب العربي 1967.

3 ـ بغية الملتمس ص: 527 ترجمة: 1583. طبعة مجريط. 1884 م.

4 ـ أعلام النساء لعمر رضا كحالة: 340 .

(19) في المغرب لابن سعيد : لثن حالات عن ثغرها.

(20) ـ الحديث عنها في :

أ ـ نفح الطيب للمقري . تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. 2 / 146 ـ 148 .

ب ـ نفح الطيب للمقري. تحقيق: د / إحسان عباس. 1 / 617 ـ 618.

جـ ـ الأعلام للزركلي. 7 / 99 ـ 100 .

(21) ـ الزبرقان: البدر.

(22) ـ انظر ترجمتها :

(أ) الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد اللّه عنان، جـ 1, ص 489 ـ 490 .

(ب) المغرب في حلى المغرب لابن سعيد، جـ 2, ص / 145 ـ 146 ترجمة : 451 .

(جـ) نفح الطيب للمقري، تحقيق : د / إحسان عباس ، 4 : 287 ـ 289 ترجمة : 16.

(د) رايات المبرزين وغايات المميزين : 94 ـ 95 ترجمة : 86 وجعل لها عنوان : «خنساء الأندلس» لابن سعيد الأندلسي (ت : 685 هـ) ، تحقيق : الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي ، مطابع الأهرام التجارية ـ القاهرة : 1393 هـ ـ 1973 م .

(هـ) أعلام النساء لعمر رضا كحالة 1 : 292 ـ 293 .

(و) الأعلام للزركلي 2 : 305 .

(23) ـ نفح الطيب للمقري ، 4 : 289 تحقيق : د / إحسان عباس .

(24) ـ المغرب في حلى المغرب ، 2 : 146 .

(25) في أعلام النساء : ورد عجز هذا البيت له في الحسن أسرار بوادي. وكذا في رايات المبرزين لابن سعيد .

(26) في نفح الطيب : لهالبّي بدل سبت لبّي .

(27) انظر نفح الطيب للمقري ، جـ 2, ص / 404. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ـ دار الكتاب العربي ببيروت ـ لبنان .

(28) في رايات المبرزين : من ناظريك .

(29) في المغرب في حلى المغرب : والماء بدل السيل .

(30) انظر نفح الطيب للمقري، تحقيق : د / إحسان عباس ، 4 : 288 ـ 289 .

(31) انظر كتاب صلة الصلة ، 5 (309 ـ 310)، لأبي جعفر بن إبراهيم بن الزبير (ت : 708 هـ)، تحقيق: الدكتور عبد السلام الهراس ـ الشيخ سعيد أعراب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المملكة المغربية : 1416 هـ 1995 م .

(32) ترجم لولادة عدد كبير من المؤرخين والأدباء منهم :

أ ـ المقري ـ نفح الطيب تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، جـ 6, ص / 536 ونفح الطيب ، تحقيق: د / إحسان عباس ، 4 : 205 ـ 211 ترجمة : 9 .

ب ـ ابن دحية ، «المطرب من أشعار أهل المغرب» ص / 7 : تحقيق : الدكتور مصطفى عوض الكريم ، الخرطوم 1954 .

جـ ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 1 / 429 ـ 432 .

د ـ الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، ص / 82 ـ 91 . تقديم : محمد العناني نشر المكتبة العتيقة تونس 1966 .

هـ ـ ابن سعيد ـ المغرب في حلى المغرب ، 1. 65 . 66 . 143 ـ 180 .

و ـ ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، 2 / 696 ترجمة : 1540 .

ز ـ الأعلام للزركلي ، 9 : 135 ـ 136 .

(33) ابن دحية الكلي : المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص / 7 ـ 10 .

(34) المقري ، نفح الطيب ، 4 / 205 .

(35) في نفح الطيب ورد هذا البيت :

وبي منك ما لو كان بالشمس لم تُلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسرْ

(36) ديوان ابن زيدزن ورسائله : 777 ـ 779. شرح وتحقيق : علي عبد العظيم ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة 1957 .

(37) ـ ديوان ابن زيدون ورسائله : 120 .

(38) ديوان ابن زيدون : 175 .

(39) ـ ديوان ابن زيدون ورسائله: 780 ـ 781 .

(40) ـ ديوان ابن زيدون ورسائله: 174 .

(41) ـ ذو الرمة هو غيلان بن عقبة، كنيته أبو الحارث، شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو ابن العلاء: فُتح الشعرُ بامرئ القيس وختم بذي الرّمة، كان شديد القصر دميما، يضرب لونه إلى السّواد، توفي بإصبهان عام 117 هـ . له ديوان شعر ضخم مطبوع.

انظر الأعلام للزركلي . 5 : 191 ـ 120 .

(42) ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ص 782 ـ 783 .

(43) نفح الطيب للمقري، تحقيق: د/ إحسان عباس، 4 / 205 ـ 206 .

(44) ـ انظر القصيدة في ديوان ابن زيدون ورسائله، ص 582 ـ 589 .

(45) انظر: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص : 12. الخليل بن أيبك الصفدي (ت: 764). تحقيق محمد أبو الفصل ابراهيم ـ دار الفكر العربي. 389 / 1969 م . مطبعة المدني ـ القاهرة ـ .

(46) ـ نفح الطيب، 4: 206 ـ 208 . والمراد بالحسن هو والد بُوران الحسن بن سهل الذي زوج ابنته الخليفة العباسي المأمون.

(47) كتاب الصلة،2: 696 رقم: 1540, لابن بشكوال أبي القاسم خلف بن عبد الملك (ت: 2578 ـ 1183 م). تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم الدار المصرية للتأليف والترجمة. 1966. مطابع سجل العرب بالقاهرة.

(48) قلائد العقيان في محاسن الأعيان، لابن خاقان، ص / 82 .

(49) بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس: ص : 547 رقم 1598 لأحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبي (ت: 5911). دار الكتاب العربي، مطابع سجل العرب بالقاهرة: 1967 .

(50) نفح الطيب للمقري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، جـ 5 ، ص / 336 .

(51) ـ ترجمتها في : (1) ـ أ ـ نفح الطيب المقري، تحقيق: د / إحسان عباس 4 : 293ـ295 ترجمة : 21

ب ـ نفح الطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، جـ 6 ، ص / 28 .

(2) المغرب في حلى المغرب لابن سعد المغربي، 1 : 143 ترجمة : 73 .

(3) أعلام النساء لعمر رضا كحالة،5: 119 .

(4) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، للدكتور مصطفى شكعة ص : 213 ـ 214 .

(52) نفح الطيب، 4 / 272 / 274 .

(53) الأعلام للزركلي، 1 / 337 / 338 .

(54) ترجمتها في :

أ ـ نفح الطيب، تحقيق : محمد محي الدين، 6 / 20.

ب ـ نفح الطيب، تحقيق: الدكتور حسان عباس، 4 / 284 ـ 285, ترجمة : 12 .

جـ ـ أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 1 / 118 ـ 119 .

د ـ الأدب الأندلسي، للدكتور مصطفى الشكعة، 169 ـ 172 .

(55) في النفح و وأعلام النساء: في إعجاله

(56) أنظر:

أ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، علمائها وأمرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج عنها لأحمد بن يحي أحمد بن عميرة الضبي (ت: 599 هـ ـ 1203 م) ص 529 ترجمة: 1586.

طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس سنة 1884 م .

ب ـ بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس ص / 545 ترجمة: 1589 للضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة دار الكتاب العربي 1967. مطابع سجل العرب. القاهرة .

(57) ـ ترجمتها في :

أ ـ نفح الطيب. تحقيق: د / حسان عباس، 4 / 283 ترجمة : 11 .

ب ـ نفح الطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحكيد، 6 / 19 .

جـ ـ أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 3 / 227 .

(58) ـ ترجمتها في :

أ ـ نفح الطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 5 / 302.

ب ـ نفح الطيب، تحقيق: د / إحسان عباس، 4 / 170 ترجمة : 5 .

جـ ـ المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد المغربي: 2 / 202 ـ 203 ترجمة: 487.

د ـ أعلام النساء، لعمر رضا كحالة: 4 / 238 .

هـ ـ الأدب الأندلسي، للدكتور مصطفى الشكعة: 147 / 149

(59) ـ ترجمتها في :

أ ـ المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد المغربي، جـ 2 ، ص 38 / ترجمة: 358 .

ب ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب للمقري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، جـ 5 ص / 301 .

جـ ـ نفح الطيب للمقري، تحقيق د / إحسان عباس، 4 / 169 ترجمة : 3.

د ـ أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 3 / 327 ـ 328 .

هـ ـ الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة، 172 ـ 177.

(60) ـ في النفح: منكم بدل عنكم.

(61) في المغرب: يُحلى.

(62) في المغرب: تعكف.

(63) ـ ترجمتها في :

أ ـ نفح الطيب للمقري، تحقيق: د / إحسان عباس، جـ 4, ص / 286. ترجمة: 14 .

ب ـ أعلام النساء لعمر رضا كحالة: 2 / 114 .

جـ ـ الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة، / 145 .

(64) ـ أنظر الحديث عنها في :

أ ـ نفح الطيب للمقري، تحقيق: د/ إحسان عباس، جـ 4, ص / 286 ترجمة: 15 .

ب ـ نفح الطيب للمقري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، 5 / 22.

جـ ـ الأدب الأندلسي، للدكتور مصطفى الشكعة، / 146 .

(65) ترجمتها في :

أ ـ المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ، 2 / 121 . ترجمة : 438 .

ب ـ رايات المبرزين وغايات المميزين، لابن سعيد : 91 ـ 92 ترجمة : 82 .

جـ ـ بغية الملتمس، للضبي ، / 546 ترجمة : 1591 .

د ـ الإحاطة في أخبار غرناطة ، لابن الخطيب ، 424 ـ 427 .

هـ ـ نفح الطيب للمقري ، تحقيق : د/ إحسان عباس ، 4 / 295 نرجمة 24 .

و ـ أعلام النساء لرضا كحالة . 5 / 167 ـ 170 .

(66) يروى الشطر الثاني من هذا البيت هكذا : وتحت الثياب العار لو كان باديا وهو مأخوذ من ذي الرمة حيث تقول :

على وجه مي مسحة من ملامحة وتحت الثياب العار لو كان باديا

كما أخذ البيت الثاني من قول المتنبي في مدح كافور الأخشيدي :

قـواصد كـافـــور توارك غيره ومن قصد البحر انتقل السواقيا

(67) في نفح الطيب : لعمري بدل لعنتً .

(68) نفح الطيب ، تحقيق : د / إحسان عباس ، 1 : 190 ـ 193 .

(69) الردف : العجز ، ومؤخر كل شيء و،الرداح : يقال امرأة فخمة الردف، سمينة الأوراك.

(70) انظر الأبيات في نفح الطيب ، تحقيق : د / إحسان عباس ، 4 : 298 .

(71) ـ أنظر الحديث عنها في:

أ ـ نفح الطيب للمقري، تحقيق: د/ إحسان عباس، جـ 4 ، ص / 293. ترجمة: 22 .

ب ـ نفح الطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، 29 : 5 .

(72) كتاب صلة الصلة، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت: 708 هـ)، 5 / 311, ترجمة: 624 .

(73) ترجمتها في :

أ ـ المطرب من أشعار أهل المغرب، لابن دحية الكلبي، ص / 6 .

ب ـ نزهة الجلساء في أشعار النساء لجلال الدين السيوطي، ص / 24 .

جـ ـ نفح الطيب للمقري، جـ 5 ، ص / 302 . تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

د ـ نفح الطيب للمقري، تحقيق: د/ إحسان عباس، 4 / 169 ـ 170 ترجمة: 4 .

هـ ـ أعلار النساء لعمررضا كحالة، 1 : 86 ـ 78 .

(74) ـ : انظر الحديث عنها في :

أ ـ نفح الطيب للمقري، تحقيق: د / إحسان عباس، جـ 4 ، ص / 294 ..

ب ـ نفح الطيب للمقري، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، جـ 6 ، 29ـ 30 .

جـ ـ أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 2 / 303 .

(75) ترجمتها في :

أ ـ فخ الطيب للمقري، تحقيق: د / إحسان عباس، 4 / 292 ترجمة: 19 .

ب ـ نفح الطيب للمقري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، جـ 6 ، ص / 28 .

(76) انظر الأبيات في أعلام للنساء لعمر رضا كحالة، جـ 1 ، ص / 56 .

(77) مدينة مشهورة برجالها في العهد الإسلامي، تبعد عن غرناطة بـ 55 كلمترا، وهي مسقط رأس ابن الخطيب. قال صفي الدين عبد المؤمن البغدادي: لوشة، بالفتح، ثم السكون، وستين معجمة : مدينة بالأندلس غربي البيرة قبليّ قرطبة على نهر شنجل بنهر غرناطة، بينها وبين غرناطة عشرة فراسخ. انظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، 3: 1211, لصفي الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادي، تحقيق: علي محمد البجاوي دار إحياء الكتب العربية. ط: 1374 هـ ـ 1955 م ـ القاهرة ـ .

(78) اقتباس من سورة العلق ، الآية : 15 .

(79) أنظر الحديث عنها في :

أ ـ نفح الطيب للمقري، تحقيق: د/ إحسان عباس. 3 530. ترجمة: 6.

ب ـ نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي، ص / 85 .

جـ ـ أعلام النساء، لعمر كحالة، جـ 4 ، ص / 207 .

د ـ الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة: 234 ـ 235 .

(80) ـ في نفح الطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: 5 / 73: منعا بظهر، عوض نعمى بظلم.

(81) أنظر: الإحاطة في أخبار غرناطة. لابن الخطيب لسان الدين. 1: 430 ـ 431

(82) ـ انظر ترجمة حفصة في:

(أ) الإحاطة في أخبار غرناطة ، لابن الخطيب، جـ 1 ، ص / ، 491 ـ494.

(ب) المغرب في حلي المغرب، لابن سعيد المغربي، جـ 2 ، ص / 138, 139. ترجمة: 446.

(جـ) رايات المبرزين، لابن سعيد، ص : 92 ـ96 .

(د) نفح الطيب للمقري، تحقيق: د/ إحسان عباس، 4 / 71 ـ 78 ترجمة 8 .

(هـ) النطرب من أشعار أهل المغرب، لأبي دحية، ص / 10.

(و) معجم الأدباء، لياقوت الحموي، ص 10, ص / 219,

(ز) أعلام النساء لعمر رضا كحالة: 268 / 271 .

(ح) الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة/ 219 ـ 222

(ط) الأعلام الزركلي، 292 : 2 .

(83) ـ في المغرب في حلي المغرب: يكون في الدهر بدل يكون الدهر.

(84) ـ في النفح: أرق بدل ألذّ.

(85) في نفح الطيب تقديم «وجدا» على «شوق» في الشطر الأول من هذا البيت.

(86) ـ في نفح الطيب: جعلته بدل وضعته.

(87) ـ في نفح الطيب: إلى ورا بدل إلى الورا.

(88) ـ في نفح الطيب: لم يرُحْ بدل لم يرعْ .

(89) ـ في نفح الطيب: إلا لما بدل إلا بما.

(90) ـ الرقيعة: المرأة الرقيقة الساقين، وذلك من جمال المرأة.

(91) ـ الحباء: مايحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به، وحباً المرأة: مهرها جمع أحبية.

(92) ـ مالقة: بفتح اللام ، والقاف: مدينة بالأندلس عامرة، من أعمال رية، سورها على شاطيء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية ـ قيل: هي على ساحل بحر الحجاز بالزقاق.

انظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، 3: 1221، لصفي الدين عبد المؤمن البغدادي.

(93) ـ انظر الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب، 220 : 1.

(94) ـ في المغرب من حلي المغرب: وأمطر عن منهّل.

(95) ورد هذا البيت في المغرب من حلي المغرب هكذا:

وأفاك من تهواه في طوع الإجابة والرضا

(96) ـ ترجمها في:

أ ـ نفح الطيب للمقري. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. 5 / 299 .

ب ـ نفح الطيب للمقري. تحقيق: د/ إحسان عباس. 4 / 166 ـ167 ترجمة : 1 .

جـ ـ أعلام النساء لعمر رضا كحالة. 2 / 184 .

(97) إشارة إلى أن البيت الأول ليس من نظمها.

(98) في يتيمة الدهر: بل أضر بدل أو أشد.

(99) أنظر يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.م 2. جـ 3 ص/ 183 ـ 184 .

مصادر ومراجع البحث

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة (1ـ4) أربعة مجلدات

لابن الخطيب أبي عبد اللّه محمد بن عبد اللّه لسان الدين

(ت: 776 هـ ـ 1374م). تحقيق: محمد عبد اللّه عنان.

المجلد الأول ـ الطبعة الثانية: ت1393 هـ ـ 1973 م .

المجلد الثاني ـ الطبعة الأولى: 1394 هـ ـ 1974 م .

المجلد الثالث ـ الطبعة الأولى: 1395 هـ ـ 1975 م

المجلد الرابع ـ الطبعة الأولى: 1397 هـ ـ 1977 م

الشركة المصرية للطباعة والنشر، مكتبة الخانجي ـ القاهرة .

(2) ـ الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه

للدكتور مصطفى الشكعة

الطبعة الثانية، دار العلوم للملايين ـ بيروت ـ لبنان: 1974م.

(3) ـ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة

للدكتور أحمد هيكل

الطبعة الثالثة 1967 . دار المعارف ـ مصر ـ .

(4) في الأدب الأندلسي

للدكتور جودت الركابي

الطبعة الرابعة ـ دار المعارف بمصر 1975 .

(5) أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام (1 ـ 5) خمسة أجزاء.

لعمر رضا كحالة.

الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1397 هـ ـ 1977 م .

(6) الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين (1 ـ 10) عشرة أجزاء وثلاثة مستدركات.

لخير الدين الزركلي (ت: 1976 م) .

الطبعة الثالثة، مطبعة كرستاتومس وشركاه، بيروت: 1389 هـ ـ 1969 م .

(7) ـ الأغاني (1ـ 21) واحد وعشرون مجلدا.

لأبي الفرج الإصبهاني علي بن الحسين (ت: 356 هـ ـ 969 م) .

منشورات دار مكتبة الحياة ـ دار الفكر ـ بيروت: 1957 م .

(8) ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس

للضبي أحمد بن يحي بن عميرة (ت: 599 هـ) .

طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس سنة 1884 م .

(9) ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس

للضبي أحمد بن يحي بن عميرة (ت: 599هـ)

مطابع سجل العرب، دار الكتاب العربي: 1967 ـ القاهرة .

(10) ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (1 ـ 4) أربعة أجزاء.

لابن عذاري المراكشي أحمد بن محمد (بعد: 712 هـ).

تحقيق الجزء الأول والثاني:

ج ـ س ـ كولان و أ ـ ليفي بروفنسال

والجزء الثالث: أ ـ ليفي بروفنسال

دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان .

والجزء الرابع: كتب التعليقات الدكتور: إحسان عباس

الطبعة الأولى دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ 1967 م

(11) ـ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون

لخليل بن آبيك الصفدي (ت: 764 هـ)

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم

مطبعة المدني، دار الفكر العربي: 1389 هـ ـ 1969 م القاهرة.

(12) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس:

للحميدي أبي عبد اللّه محمد بن أبي نصر بن عبد اللّه الأزدي (ت: 488 هـ)

مطابع سجل العرب ، دار الكتاب العربي، 1967 م بالقاهرة.

(13) ـ ديوان ابن زيدون ورسائله (ت: 463 هـ ـ 1070م)

شرح وتعليق: علي عبد العظيم

مطبعة الرسالة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة: 1957م القاهرة .

(14) ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (1 - 6) ستة أجزاء.

لابن بسام أبي الحسن علي الشنتريني (ت: 542 هـ)

تحقيق: الدكتور إحسان عباس

الدار العربية للكتاب. دار صادر بيروت 1975 .

(15) ـ رايات المبرزين وغايات المميزين

لابن سعيد الأندلسي (ت: 685 هـ ـ1286م)

تحقيق: الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

لجنة إحياء التراث الإسلامي

مطابع الأهرام المصرية ـ القاهرة : 1393 هـ ـ 1973م .

(16) ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون.

لابن نباتة جمال الدين أبي بكر القريشي المصري (ت: 768 هـ ـ 1366 م) طبعة دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ

(17) فوات الوفيات (1ـ2) جزآن

لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت: 764 هـ)

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد

مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة السعادة ـ مصر 1951 .

(18) قصة الأدب في الأندلس (1 ـ 2) قسمان.

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجة

منشورات مكتبة المعارف في بيروت 1963.

(19) ـ قلائد العقيان في محاسن الأعيان

لابن خاقان أبي النصر الفتح بن محمد بن عبد اللّه القيسي الإشبيلي (ت: 529 هـ)

تقديم: محمد العنابي ـ دار الكتب الوطنية

المكتبة العتيقة ـ تونس: 1966.

(20) ـ كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس.

للشيخ أبي عبد اللّه محمد بـن الكتانـي الطبيب (ت حوالي: 420 هـ)

تحقيق: الدكتور: إحسان عباس

دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان

مطبعة سميا 1966 .

(21) ـ كتاب صلة الصلة (3ـ5) ثلاثة أقسام

لأبي جعفر بن ابراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (ت: 708 هـ)

تحقيق: الدكتور عبد السلام الهراس ـ الشيخ سعيد أعراب

طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

المملكة المغربية: 1416 هـ ـ 1995 م .

(22) ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1ـ3) ثلاثة أجزاء.

لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت: 739 هـ)

تحقيق: علي محمد البجاوي ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.

عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى: الجزء الأول والثاني: 1373 هـ ـ 1954 م

والجزء الثالث: 1374 هـ ـ 1955 م .

(23) ـ كتاب الصلة (1ـ2) قسمان

لابن بشكوال أبي القاسم خلف بن عبد الملك (ت: 578 هـ)

الدار المصرية للتأليف والترجمة

مطابع سجل العرب القاهرة: 1966 .

(24) ـ المطرب من أشعار أهل المغرب

لابن دحية الكلبي ذي النسبين أبي الخطاب عمر بن حسن (ت: 633 هـ)

تحقيق: الدكتور مصطفى عوض الكريم

الخرطوم 1954 .

(25) معجم البلدان (1ـ5) خمسة مجلدات :

للحموي أبي عبد اللّه ياقوت بن عبد اللّه الرومي البغدادي (ت: 626 هـ)

دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر.

(26) المغرب في حُلى المغرب (1ـ2) جزآن:

لأبي عبد اللّه محمد بن إبراهيم الحجاري، وعبد الملك بن سعيد، وآخرين الطبعة الثانية ـ دار المعارف مصر 1964 .

(27) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب.

(1ـ10) خمسة مجلدات في كل مجلد جزآن.

للمقري ، أحمد بن محمد التلمساني (ت: / 104 هـ ـ 1631 م)

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد

دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ 1367 هـ ـ 1949 م .

(28) ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (1 ـ8) ثمانية مجلدات.

للمقري الشيخ أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041 هـ ـ 1631 م)

تحقيق: الدكتور: إحسان عباس

دار صادر بيروت: 1388 هـ ـ 1968 م .

(29) ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (1 ـ4) في مجلدين.

للثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت: 429 هـ ـ 1038 م).

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد .

الطبعة الثانية ـ مطبعة السعادة: 1975 هـ ـ 1956 م ـ القاهرة .